صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق – ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ٣٦٢٩١

السنة السادسة
العدد الثامن
نيسان ١٩٦٥

عكاز في الجحيم

بقلم : **بدر شاكر السياب**

هذه قطعة للشاعر الراحل (بدر شاكر السياب) بعث بها صديق عراقي الى الشاعر سليمان العيسى خصيصا لنشرها في مجلة « للثقافة » وهي آخر ما نظمه الشاعر الراحل قبل وفاته بمدة قصيرة في مستشفى الكويت .. »

« الثقافة »

وبقيت أدور
حول الطاحونة من ألمي
ثورا معصوبا ، كالصخرة ،
هيهات تثور
والناس تسير الى القمم
لكني أعجز عن سير – ويلاه – على قدمي
وسريري سجني ، تابوتي ، منفاي الى الالم
والى العدم !!..
وأقول سيأتيني يوم من بعد شهور
أو بعد سنين من السقم
أو بعد دهور !! ..
فأسير .. أسير على قدمي
عكاز في يدي اليمنى
عكاز ؟ .. بل عكازات
تحت الابطين يعينان
جسما من أوجاع .. يفنى
طللا يغشاه مسيل دم
وأسير .. أسير على قدمي !! ..
لو كان الدرب الى القبر

الظلمة والدود الفراس بألف فم
يمتد أمامي في أقصى أركان الدنيا .. في بحر
أو واد أظلم أو جبل عال
لسعيت اليه على رأسي أو هدبي أو ظهري
وشققت الى سقر دربي ودحوت الابواب السودا
وصرخت بوجه موكلها
لم تترك بابك مسدودا ؟؟ ..
فلتدع شياطين النار
تقتص من الجسد الهاري
تقتص من الجرح العاري
ولتأت صقورك تفترس العينين وتنتهش القلبا
فهنا لا يشمت بي جاري
أو تهتف عاهرة مرت من نصف الليل على داري :
« بيت المشلول هنا ، أمسى لا يملك أكلا أو شربا
وسيرمون غدا بنتيه وزوجته دربا
وفتاه الطفل اذا لم يدفع متراكم ايجار »
انثرني ويك أباديدا
وافتح بابك لا تتركه أمام شقائي مسدودا
ولتطعم جسمي للنار !! ..

هل وصل الفنان الحديث الى الصدق الحقيقى ؟

بقلم المحامي : نجاة قصاب حسن

في العدد الماضي من مجلة الثقافة ، قلت انني اعترف بالفن الحديث ، بأن وجوده تعبير صادق عن قلق هذا العصر الذي تمزقه التناقضات والحروب والمعارك والخوف من المستقبل ، وبأن الفنان الحديث ـ شاعرا او رساما او مسرحيا او موسيقيا ـ أقرب الى الصدق في التعبير عن روح هذا العصر القلق المتمرد من الفنان المتمسك بالقواعد الكلاسيكية .

غير انني انتهيت الى سؤال ووعدت بطرحه في هذا المقال الثاني ، وهو : هل وصل الفنان الحديث الى الصدق الحقيقي ؟ أم ان الفن الحديث بما انطوى عليه من طرح للقواعد الجمالية المتعارف عليها يصلح ستارا للادعياء ، فيستطيعون به أن يغلفوا الجهل والفراغ بستار من الغموض ، والعجز وضعف الوسيلة بستار من الجرأة في الاسلوب ؟

وليس هذا سؤالا متجنيا على أحد . فما نراه كل يوم من لوحات ترسم ، وما نقرأه من شعر ينشر ، ومانراه من مسرحيات تكتب وتمثل باسم اللامعقول ، كل هذا يجعل الانسان العادي السوي يتساءل عما اذا كان مايراه ويسمعه ويقرأه هو فن يعرف صاحبه مايريد ويقصد منه الى شيء يريده ، أم هو نوع من العبث وترويج العملة الزائفة .

وهذا التساؤل مشروع : فان التزام القاعدة يقتضي التمكن منها ، ولا يستطيع الدعي أن يغش الناس اذ سرعان مايكتشفونه ، أما كسر القاعدة فانه يفسح المجال لاشياء كثيرة تجري باسم التمرد على النهج التقليدي ، وعندئذ يتاح للرسام أن يعبث بريشته ، وللشاعر أن يزاوج كلمات بلا معنى ولا وزن ولا موسيقا مع الزعم بأنه أعمق من الجمهور الذي لايفهمه ، وللموسيقي أن يخلق من التنافر الكلمي زعما جماليا .

ويقيني أن الفن الحديث لا يقبل من مدعيه الا اذا كان هذا قد هضم التكنيك القديم وأظهر انه قادر عليه ، فعندئذ لايمكن أن ننسب عمله في تحطيم القواعد الى الجهل بها أو عدم القدرة عليها ، وانما الى عمل ارادي قصد منه تطوير التعبير الفني .

ولنأخذ بيكاسو مثلا . هذا الفنان الحقيقي الكبير بدأ حياته في مطلع هذا القرن بدراسة في مدرسة الفنون في برشلونة ، ثم جاء الى باريس في ١٩٠٠ ليرسم متأثرا باسلوب تولوز لوتريك وشتاينلن . ومن ١٩٠١ الى ١٩٠٤ انتج لوحاته التي تعرف تحت اسم (المرحلة الزرقاء) وفيها كائنات تعسة تبدو في جو من اليأس . واقام في هولندا فترة ، اعتبارا من ١٩٠٥ ، فظهرت في لوحاته ألوان أقل مرارة ، فيها لون الجسد ، وتسمى مرحلته هذه (المرحلة الوردية) . ثم تعرف الى براك

وديران ، فاولع معهما بالوجوه الزنجية والهندية ، وتأثر بسيزان ، وهنا بدأ اتجاهه الى التكعيبية ، التكعيبية التحليلية أولا ، ثم التكعيبية التركيبية فيما بعد ، وأخذ يرسم ويضيف الى رسومه مواد غريبة كقصاصات الورق المطبوع والزجاج وغيرها • وفي ١٩١٧ عاد بيكاسو الى القواعد الجمالية اليونانية الرومانية وصار يرسم وجوها جبارة ، هادئة ، متزنة • غير أنه مالبث في ١٩٢٦ أن انقلب الى سوريالي ، وأخذ يجوس في ميدان التجريد الصرف ، واستمر في ذلك حتى ١٩٣٥ •

وفي ١٩٣٦ عاد بيكاسو يرسم وجوها واضحة الملامح ، ولكنها ممزقة ، مقطعة ، معاد تركيبها على نحو انطباعي ، وعرفت مرحلته هذه بالمرحلة الانطباعية وابرز صورها لوحة (غيرنيكا) المستمدة من قصف الطائرات لتلك المدينة الاسبانية • ثم أخذ في الحرب العالمية الثانية واعقابها ينصرف الى الرسم والخزف والنحت والحفر • وهنا هدأ فنه وصار يستعرض فيه مراحل تطوره السابق بنوع من العبث واللعب الحلو ••

صار بيكاسو اشهر فنان في عصرنا الحاضر ، واكثر الفنانين اثارة للجدل • فالنقاد منهم من رأوا فيه فنانا ثانويا ان لم يلون المثلثات والمكعبات فهو مجرد مقلد للفنانين الكبار من مختلف المدارس والاتجاهات ، من الاتجاه البدائي والطفولي الى روائع الفن الكلاسيكي ومنهم من رأى انه اعظم المبدعين واكثرهم خصبا في تاريخ التصوير • ومهما كان من تذبذبه بين المدارس والاتجاهات وصدمه للمنطق الديكارتي الفرنسي ، فان لوحاته تحتوي على سحر غامض خاص يعطي ألقا وضياء لكل صالة علقت فيها •

والشيء الذي احببت أن ابرزه في سيرة بيكاسو وتطوره الفني، أنه لم يذهب الى التكعيبية والسوريالية والتجريد رأسا ، ودونما عدة كلاسيكية ، بل كان فنانا كلاسيكيا يبحث في كل مرحلة عن الاسلوب الاصدق في تمثيلها • فاذا كسر الخط ، فلانه يحسن رسم الخط اولا ، واذا ادار ظهره للشكل ، فلانه قادر على ان يرسمه سويا • ان اختياره اختيار حر ، قادر ، لا وليد العجز ولا نتيجة لقلة الوسيلة •

مثل هذا يقال عن برخت المسرحي • ان برخت وجد نفسه في عصر التناقضات الطبقية والمصالح المتعارضة ، فتساءل : هل يمكن للتاريخ أن يرى من وجهة نظر واحدة ، أم لابد من النظر اليه من وجهات نظر مختلفة؟ وأخذ مثالا لذلك حادثة بسيطة من حوادث السير •

سائق السيارة يرويها على نحو ، والضحية التي صدمتها السيارة ترويها على نحو آخر ، والمتفرجون تبعا لما تكون وجهات نظرهم أو عواطفهم في تلك اللحظة يروونها على اشكال أخرى • ثم انتقل الى مثال آخر : مقتل ملك من الملوك في قصة شكسبيرية• هل يجب أن يحاط بكل الجلال الملكي ؟ من وجهة نظر البلاط ، نعم • ومن وجهة نظر الشعب لا • ولان المسرح يروي الحوادث ، رأى برخت أن الرواية الواحدة ، كما يتصورها الكاتب ، تشوه الحادثة لانها تعطيها من زاوية واحدة فقط •

ونظر برخت الى الاساليب المسرحية فوجد أن المسرح سواء أكان شاعريا أم رمزيا أم واقعيا ، وسواء أكان الالقاء فيه مضخما أو عاطفيا أو كحديث الناس العادي ، فان العبرة تظل للحادثة •

وبحث برخت عن الجديد الذي يستطيع به أن يبرز الحادثة المدوية في نطاق يظهر الصراع الطبقي والاجتماعي ، فوجد أساليب جديدة ، ثورية ، تخرج عن المألوف وتصدم المعتاد •

وجد مثلا أن المسرح يجب أن يحمل الناس على

التفكير باستقلال فيما يرونه دون أن يتأثروا بالكاتب، ودون أن ينساقوا بالحلم حتى يتمثلوا أنفسهم في جو الرواية ومن بين أبطالها ، فقرر اسلوبه الجديد بوعي تام لما يريده. فالحادثة تروى اكثر من مرة أمام المشاهد، وتكون لها في كل مرة صيغة جديدة . والممثل يجب ألا يندمج بدوره اندماجا يحمل المتفرج على ان يتصور أن الذي أمامه هو الشخصية لا الممثل ، بل عليه أن يبقى بعيدا عن الشخصية ، وأن يرويها من بعيد ودون اندماج ، ليستطيع المتفرج أن يراها هو الآخر من بعيد ويحكم عليها بلا انفعال . وحتى لا تسترسل القاعة في الحلم ، ينبه المخرج والممثل المتفرجين في كل ثانية ليستفيقوا من الحلم . ويلبس الممثلون أقنعة على وجوههم ـ على نسق المسرح القديم والصيني والياباني ـ حتى لا يتأثر الممثل بملامح وجوههم ، وتظل الحادثة والكلمة هي موضع التفكير .

ففي رواية (من يقول نعم ، ومن يقول لا) وهي اوبرا ألفها برخت للطلاب ، يقص قصة فتى يسافر مع جماعة تسير عبر الجبال حتى تصل الى مدينة بعيدة يجد فيها الدواء لامه المريضة . وفي الطريق تجد الجماعة امامها هوة سحيقة لاتستطيع أن تجتازهاومعها الفتى ، فتقول الجماعة للفتى : « العادة في مثل هذه الاحوال أن نسألك عما اذا كنت تصر علينا فنرجع معك أو تقبل ان تبقى هنا وتموت تضحية منك في سبيل الجماعة ، والعادة في مثل هذه الاحوال أن تقول انت للجماعة : بل أفضل ان ابقى واموت وأن تسيروا أنتم » .

ويقبل الفتى بأن يقول نعم ، فيموت . ثم يعود برخت فيعرض القصة نفسها منذ البداية حتى يصل بالجماعة نفسها الى طرح السؤال نفسه ، وهنا يجيب الفتى : لا ، وتضطر الجماعة الى البحث عن مخرج يضمن بقاء الفتى على قيد الحياة .

اذن ، فالحادثة نفسها تقص على نمطين ، وفي كل منها نهاية مختلفة ، ويترك المتفرج أمام الحادثتين ليحكم : أيهما أصح أن يتبناها ؟

ان برخت نفض كل الاساليب التقليدية في الكتابة للمسرح ، وفي المثيل ، وفي الاخراج ، وفي المناظر المسرحية ، وفي الحركة . ولكنه فعل ذلك بعد أن أدرك تماما قواعد المسرح التقليدية ، ووجد أنها لم تعد تصلح ـ في نظره ـ لتصوير العصر ومحتواه الاساسي ، وهو الصراع الطبقي بما يولده من اختلاف شديد في وجهات النظر . وبالتالي فان برخت حين كسر القاعدة ، كسرها بعد معرفة ، وعن عمد ، ولهدف جمالي واضح .

جئت هنا بمثالين ، أحدهما في ميدان الرسم والآخر في ميدان المسرح ، ويمكن توسيع البحث حتى يشمل كل انواع الفنون .

فالنحات الذي يستطيع ان ينحت تمثالا يكاد من صدق محاكاته الطبيعة أن يتكلم ، يمكن ان يرى بعد ان ينجز تمثاله أنه لم يضف بذلك جديدا الى الفن ولم يجد تعبيره الجديد ، فيحطم التمثال ، ويمضي الى اسلوب آخر يراه أصدق واكثر حرارة : كأن يصوغ من الحديد الفظ صورة الانسان المحطم المشوه فاقد الملامح في عصر تسحقه فيه الآلة والمتناقضات ، وتجعل الناس فيه أدوات ميكانيكية (روبوت) تسعى في خدمة من يملكون القيم .

والشاعر الذي يستطيع ان ينظم قصيدة موزونة

ومقفاة وسائرة على قواعد الجمال الشعري المتعارفة يمكن أن يرى في هذه الاوزان والقوافي التي تلتزم آليا ما يوقف خياله ويصطنع صوره ويدخل على المعاني الاصيلة معان فرضتها القيود ، وعندهـا له أن يبحث عن الجديد ، عن ايقاع خاص به لم يفرضه الخليل بن احمد ، عن موسيقا خاصة به لم يصنعها له الاقدمون .

ان الجديد يكون في هذه الحالة نقدا للقديم ، والنقد هضم وفهم واحترام وتغيير ، ولا يكون عجزا عن ولوج باب الشعر الواسع ومحاولـة للتسلل من الشقوق والمسالك الجانبية .

على أن ما قلته عن تمكن الفنان من القاعدة قبل أن يباح له كسر القاعدة ليس يكفي لاعطائه شهادة فنان حـديث . فالاسلوب التقليدي كان في خدمـة المحتوى التقليدي ، فاذا وجد الفنان الحـديث أن المحتوى الجديد للعالم ، المحتوى الثوري ، يجب أن يتخذ شكلا واسلوبا جديدين وثوريين ، لا يعفيه هذا من كل قاعدة على وجه الاطلاق . ان ما أجزنا كسره كان الاسلوب القديم ، ولكن ليس من أحد يزعم أنه لايوجد اسلوب جديد يستبدل به القديم .

الثورة ليست هـدما أعمى ، ولا خبط عشواء . الثورة لها قوانينها هي الاخرى . تستطيع أن ترفض تناسقا معينا ، ولكنك ملزم بـأن تجد مكانه تناسقا آخر ثوريا .

حتى التنافر لا بد له من ناظم . اللون المجـاور للون في لوحة حديثة ، قد يكون القصد منه أن يصدم الناظر ، ولكنه لا يصدمه بمجرد أن نضع لونين كيفما اتفق ، بل لا بد من دراسة عميقة للعلاقـة البصريـة (والنفسية عند الناظر) بين اللونـين . ان الفنـان الحديث ليس مشعوذا تقبل منـه أي شيء ، بل هو انسان عميق الشعور ، عميق التعبير ، أصيل ، اذا تمرد على قاعدة من سلفوا اعطاك هو قاعدة جديدة . عند بيكاسو لا تجد الامور تجري بلا تفسير ، لا في تكعيبية ولا في سوريالية ولا في تمزيقه الجسد والشكل والخط ، ولذلك تعرف بيكاسو من لوحته لان بيكاسو استحدث قاعدة . وبرخت صار صاحب مدرسة ، ثورية ومتمردة ولكنها مدرسة . والشعراء الحديثون الحقيقيون يعطونك ايقاعهم الخاص بهم ، ايقاعا هم ابتدعوه ، ولكنه يظل موسيقا خالصة . وكل فنان حديث حقيقي لا بد له من ملامح يعرف بها وتعرف بعمله ويقاس عليها وتؤخـذ عنه .

فاذا رأيت فنانا ، رساما او شاعرا او مسرحيا أو موسيقيا ، فابحث : هل له اسلوبه ؟ هل له ايقاعـه الخاص وموسيقاه الاصيلة ؟ ان كان الجواب ايجابا فهو فنان ، تحبه او لا تحبه ، ولكنه ينتزع احترامك واعترافك .

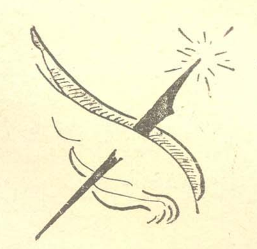
فهل وجد أدباؤنا وشعراؤنا وفنانونا الحـديثون طريقهم أو طرقهم الجديدة بعـد تمكن في الاساليب القديمة ، وبحث واع عن بديل لقيم الجمال المتعارفة ؟

لا ريب في ان طائفـة منهم تمكنت مـن الفن ، وبحثت بصدق ، ووجدت حلولا بارعة لمشكلة التعبير الفني في عصر جديد له مطالب جديـدة . غير اننـا لانستطيع أن نقول ان كل من ينتمون الى هذه المدارس الجديدة ، أو يزعمون الانتماء اليها ، جـديرون بأن يقولوا عن انفسهم انهم قادرون على مواجهـة الفن العربي والعالمي في قمته التي وصل اليها ، وعلى نقـد هذا الفن ، وطرح اساليبه عن وعي وادراك ، وابداع لاساليب جديدة ترفع الفن الى سدة أعلى واصدق .

ولعلي استطيع في الحديث القادم ـ وهو الاخير ـ أن أعالج الناحية الباقية من هـذا الموضوع وهي : ما مستقبل هذا الفن الحديث .

* * *

المعول الحجري



بقلم : بدر شاكر السياب

رنين المعول الحجري في المرتج من نبضي
يدمر في خيالي صورة الارض
ويهدم برج بابل ، يقلع الابواب ، يخلع كل آجره
ويحرق من جنائنها المعلقة الذي فيها
فلا ماء ولا ظل ولا زهره
وينبذني طريدا عند كهف ليس تحمي بابه صخره
ولا تدمي سواد الليل نار فيه تحييني وأحييها .
تعالي ياكواسر يا أسود ويا نمور ومزقي الانسان
اذا أخذته رجفة ما يبث الليل من رعب
فضجي بالزئير وزلزلي قبره :
دماغي وارث الاجيال ، عابر لجة الاكوان
سيأكل منه داء شل من قدمي ، شد ّيدا على قلبي
تريه مسالك الشهب
حمى الاسرار ، تطلعه على المتربص الخافي
اذا نطق الطبيب فاسكتوا العراف والفوال
رنين المعول الحجري يزحف نحو أطرافي
سأعجز بعد حين عن كتابة بيت شعر في خيالي جال
فدونك يا خيال مدى وآفاق وألف سماء
وفجر من نجومك، من ملايين الشموس من الاضواء
واشعل في دمي زلزال
لاكتب قبل موتي أو جنوني أو ضمور يدي من الاعياء
خوالج كل نفسي ، ذكرياتي ، كل أحلامي ،
وأوهامي
وأسفح نفسي الثكلى على الورق
ليقرأها شقي بعد أعوام وأعوام
ليعلم ان اشقى منه عاش بهذه الدنيا
وآلى رغم وحش الداء والآلام والارق
ورغم الفقر أن يحيا
ويا مرضي قناع الموت أنت وهل ترى لو أسفر الموت
أخاف ؟ ألا دع التكشيرة الصفراء والثقبين
حيث امتصت العينين
جحافل من جيوش الدود يجثم حولها الصمت
تلوح لناظري ودع الدماء تسح من أنفي من الثقبين
فأين أبي وأمي أين جدي أين آبائي
لقد كتبوا أساميهم على الماء
ولست براغب حتى بخط اسمي على الماء
وداعا يا صحابي يا أحبائي
اذا ما شئتموا أن تذكروني فاذكروني ذات قمراء
والا فهو محض اسم تبدد بين أسماء
وداعا يا أحبائي .

تضخم الشهادات الجامعية

بقلم الدكتور ريمون طحان

ان قضية تضخم عدد حملة الشهادات الجامعية ظاهرة اجتماعية وليدة سياسة التوسع في التعليم سعت في تحليل عناصرها اكثر دول العالم وارتأت لها حلولا تتناسب مع انظمتها السياسية والاقتصادية . انتهجت الدول النامية ومنها سوريا سياسة تعليمية سليمة فكافحت الامية وسعى المشرفون على شؤون التربية والتعليم في نشر الثقافة الاساسية واكثروا من الدور الثقافية ومن مراكز وندوات التربية الشعبية مما ادى الى توسع اسفل الهرم الثقافي وتضخم عدد الذين يتربعون في اعلاه وهكذا اصبح لدينا عدد ضخم من الطلاب في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية واصبحنا امام ٤٠٠٠٠ طالب وطالبة يتابعون دراستهم في جامعتي دمشق وحلب ، عدا الذين سافروا الى الخارج لطلب العلم والتخصص ، واخذ عدد طلاب الجامعة يزداد سنة بعد سنة بنسب عليه . فنحن امام ظاهرة ثقافية واجتماعية خاصة تتطلب حلولا تقليدية اننا نجد دوما لظواهر اجتماعية حديثة حلولا تقليدية وبالية . ومسألة تضخم عدد طلاب الجامعة ، وبالتالي عدد الخريجين ، وحملة الشهادات مثال جلي وواضح لعجزنا في حل المسائل بشكل عملي وقبولنا بانصاف الحلول للتملص من المسؤولية وللتخلص من المآزق الحرجة .. وقد وجدنا حلا لهذه المشكلة يتألف من ثلاثة شقوق :

١ ــ الحد من عدد المنتسبين الى الجامعة برفع مستوى الشهادة الثانوية .

٢ ــ تطوير الجامعة بحيث تصبح الدراسة فيها عملية والعودة الى نظام الشهادات او السرتيفكات والغاء قرار حمل المواد .

٣ ــ توجيه المنتسبين الجدد للدراسات العملية وامتصاص الفائض من حملة الشهادات الجامعية النظرية .

١ ــ الحد من عدد المنتسبين الى الجامعة برفع مستوى الشهادة الثانوية :

ان موطن الداء الاساسي المستفحل والمتجلي على شكل تهافت على الانتساب الى الجامعة هو وفرة عدد حملة الشهادة الثانوية التي تفتح امام صاحبها ابواب الجامعة ولا يجوز حرمان حملتها ــ مهما بلغ معدل علاماتهم ــ من الانتساب الى الجامعة ، فالثانوية السورية ذات قيمة دولية وقد نرى عددا من الطلاب الذين حرموا من حقهم في متابعة التحصيل في الجامعات الوطنية يغادرون البلاد ويتمتعون بالحق الذي سلب منهم في بلدهم في البلاد والجامعات الاجنبية وسوف نقع بعد سنوات معدودة في متناقضات مضحكة وسيعودون الينا هؤلاء الذين حكمنا عليهم بعدم

الجدارة بمتابعة الدراسة في جامعات الجمهورية بمؤهلات قد تخولهم حق التدريس في جامعاتنا الوطنية ، ولذا يحق لنا ان نتساءل : هل قضية متابعة التحصيل الجامعي تعود الى الارتقاء الى مستوى علمي لائق او الى عناد وتشبث في الرأي تعززهما امكانيات مادية ؟ نظن ان الامر يعود اولا واخيرا الى المستوى العلمي الرفيع ولذا يجب ايجاد مؤهل علمي يخول صاحبه حق الانتساب الى الجامعة او يوصد في وجهه ابوابها ولهذه الغاية وجدنا الحل العملي التالي :

آ ـ انشاء شهادة ثانوية ذات مستوى دولي ورفيع تسمح لصاحبها بمتابعة دراسته الجامعية ويحاسب الطالب لنيلها الحساب العسير ولا مانع من تعيين هيئة جامعية تشرف على فحوص هذه الشهادة وتقوم بعملية الانتقاء والاصطفاء .

ب ـ انشاء كفاءة عليا تمنح حاملها حقوق الشهادة الثانوية في التوظيف ولا تسمح له بأي شكل من الاشكال بمتابعة دراسات جامعية . لا يسمح هذا المؤهل لحامله لا بالانتساب الى الجامعات الوطنية فحسب بل حتى ولا الى الجامعات الاجنبية فحينئذ يرضخ حامله للامر الواقع ويكرس وقته لوظيفته ولا يفكر مطلقا في توزيع وقته بين اعباء وظيفته وشؤون دراسته الجامعية . اننا لا نقول بمنع الجمع بين الدراسة والوظيفة ولكننا نشك في قدرة الفرد على متابعة هدفين في آن واحد .

٢ ـ تطوير الجامعة بحيث تصبح الدراسة فيها عملية والعودة الى نظام الشهادات أو السرتيفيكات والغاء قرار حمل المواد :

يقبل الطلاب على الدراسات الجامعية للحصول على الشهادة او المؤهل وبالتالي للظفر بوظيفة ذات دخل مرتفع . يجب تقريب مستوى الرواتب بحيث يعادل ما يتقاضاه العامل الفني راتب المهندس او الطبيب وصرف الناس عن فكرة الوظيفة التقليدية التي تستهلك ولا تنتج وايجاد وظائف عملية تدعم حركة التخطيط الاشتراكي وتهيىء المواطنين وتمرنهم على القيام باعمال تنشط حركة النهضة الاقتصادية وتنمي الثروة القومية ولذا يجب تطوير المؤسسات الجامعية ذات الطابع النظري خاصة وتحويلها الى معاهد تهتم بشؤون القطاع الخاص والعام . لا بد لنا من الاحتفاظ بعدد من الكليات النظرية لتخريج المدرسين الذين نحن باشد الحاجة اليهم ولكنه يجب انشاء معاهد تطفي عليها الصبغة العملية وربطها بالكليات النظرية وعلى سبيل المثال نقترح انشاء المعاهد التالية :

في كلية الآداب :

١ ـ معهد للتخطيط والدراسات الاشتراكية .

٢ ـ معهد لعلم الآثار والحفريات والوثائق وفن المتاحف .

٣ ـ معهد للصحافة والترجمة .

٤ ـ معهد لدراسة فن التمثيل والاذاعة والاخراج التلفزيوني والسينمائي .

٥ ـ معهد لدراسة الحضارة العربية والقومية العربية والفولكلور (اعادة تنظيم معهد الخدمات الاجتماعية وربطه بقسم الدراسات الاجتماعية والفلسفية) .

في كلية العلوم :

١ ـ معهد لمسح الاراضي •

٢ ـ معهد لدراسة انتاج الزيوت والبترول •

في كلية التجارة :

١ ـ معهد لادارة الاعمال والمشاريع الكبرى والمصارف •

٢ ـ معهد لدراسة الضمان الصحي والتأمينات الاجتماعية •

٣ ـ معهد للاحصاء والدخل الفردي والثروة القومية وشؤون التأميم •

في كلية الحقوق :

١ ـ معهد خاص وقائم بنفسه للعلوم المالية والاقتصادية •

٢ ـ معهد للعلوم السياسية ووظائف السلك الخارجي •

هذا ولم نذكر المعاهد الواجب انشاؤها في كليات تغلب عليها النزعة العملية كالطب والهندسة والزراعة الخ ••• ثم نرى ضرورة العودة الى نظام الشهادات أو السرتيفيكات لنزيل عن الجامعة تلك الصبغة التجهيزية ونقضي على مشكلة حمل المواد من سنة الى اخرى وعلى سنة توزيع اجازات بالتقسيط على خريجين ضعف خبرتهم وكفاءتهم وخفت بضاعتهم العلمية • يجب بواسطة تخطيط حكيم ربط كافة الاقسام لا بل كافة الكليات ببعضها البعض لكي تصبح الجامعة وحدة متماسكة الاطراف يستطيع فيها عدد صغير من الاساتذة الاخصائيين القيام بعملهم على اكمل وجه وتقرير مادتهم على زمر من الطلاب ينتسبون الى مختلف الاقسام كما انه يجب الاستعانة بعدد من الاخصائيين من خارج ملاك الجامعة سينضمون الى الهيئة التدريسية ليفيدوا الطلاب من خبراتهم العملية وليساعدوا الجامعة على القيام برسالتها وبدورها في بناء صرح الاشتراكية العلمية •

٣ ـ توجيه المنتسبين الجدد للدراسات العملية وامتصاص الفائض من حملة الشهادات الجامعية النظرية :

لم تقم في جامعتينا حتى الآن مؤسسة ترشد الطلاب وتوجههم لتخفف الضغط عن الفروع النظرية والادبية الصرفة ولا يعقل ان تخرج جامعة دمشق مئات الطلاب والطالبات ويحملون اجازة في التاريخ وفي علم الاجتماع والفلسفة دون الاهتمام بقضايا عملية نحن احوج الناس اليها ونستطيع ادخالها الى كليات نظرية فعلينا توزيع الطلاب على فئتين الواحدة تتابع الدراسات التقليدية والثانية تنصرف الى قضايا مستمدة من صميم واقعنا الاجتماعي • ان هذه التدابير تهم المنتسبين الجدد اما بما يخص القدامى فلا يجوز لنا التنصل من المسؤولية بل علينا تلافي اخطاء الماضي ودعوة حملة الاجازات النظرية العاطلين عن العمل لحضور دورات سريعة تحول مكتسباتهم النظرية الى خبرات عملية تعود عليهم وعلى الأمة بالخير العميم وعلينا امتصاص الفائض من مواطنين غررت بهم الشهادة الثانوية التي دفعتهم الى دخول جامعة وزعت عليهم شهادات لا تضمن لهم حق التوظيف وحق كسب العيش وخدعتهم انظمة اجتماعية بالية الزمتهم ولم تلزم نفسها •

انهي كلمتي هذه بأمنية واحدة : افساح المجال امام الجامعة وتمهيد السبل لها لكي تلعب دورها كدماغ مفكر وكرائد في حركة النهضة العربية في نشر الوعي القومي •

الدكتور ريمون طحان

قبل الخلود

« قصة بقلم الكاتبة البرازيلية »
ماريا اليشاندري ابراد
ترجمة : **عثمان رمزي**

لا ادري كيف حدث هذا ، لم اكن قد تجاوزت العاشرة من عمري حينما شعرت فجأة بأن لي شخصية ثابتة ، شخصية امير بطل يقود الجيوش ويدحر الاعداء، وزوج لاميرة غاية في الجمال والكمال تدعى « نابال »٠

ولكني كنت في حيرة من امري ، اذ كيف يمكنني ان أوفق بين ما اخذت اشعر به وبقوة جارفة ، وبين واقعي الذي لا يخرج عن كوني غلاما فقيرا من ابوين كشميريين واعتقدت في بادىء الامر ان شعوري بازدواجية شخصيتي هي من الامور المألوفة لدى كل فرد ، وفاتحت اترابي بهذا الذي اشعر به ٠٠ ولكنهم نفوا وجود مثل هذا الشعور لديهم !! ٠

وكنت انظر خلسة الى والدي الكشميريين علي اوفق بالمقارنة السطحية بينهما وبين والدي اللذين يعيشان في خيالي ، الوالد الملك ، والوالدة الملكة ٠٠ ولا سيما الزوجة الاميرة « نابال» وعند ئذ اجهد نفسي لان انسى الخيال واقنع بالواقع الذي انا فيه ، ولكن كان هناك واقع خفي ينبهني دوما الى الماضي — ماضي انا — ان حياتي في ماضي لا ينفك يمر امامي واراه وأكاد المسه لمس اليد ، ثم لا البث ان ارجع الى حاضري ، الى واقعي ، فأجد نفسي وقد انتقلت من على ظهر صهوة جوادي والجيوش الجرارة التي تسير خلفي ٠٠ ومن شاب في الخامسة والعشرين من عمري ٠٠ الى حيث انا غلام في العاشرة من سنه وفلاح يرتدي الاسمال البالية ، وتكاد لقيمات خبز الشعير الاسود لا تسد جوعه ٠

واغمض عيني على امل ان اطرد ذلك الخيال عني واقنع بما أنا فيه من حياة أعيشها ليلي ونهاري ٠٠ ولكني في ذات يوم تذكرت ذكرى يوم زفافي على الاميرة « نابال » حيث اخترقنا بعربتنا الملكية الفاخرة شوارع مدينتنا ، والحشود المتراصة من شعبنا الطيب الذي كان يهتف بشكل متواصل بحياتي — حياة امير — « تابساك » المدينة الرابضة على شاطيء الفرات الجنوبي ٠٠ وكيف ان عروستي الاميرة « نابال » كانت بدورها ترد لهم جميلهم هذا بالتلويح بشالها الاحمر الحريري وثغرها يفتر عن ابتسامة عذبة ٠

وتذكرت أيضا ذكرى عزيزة اخرى ، ذكرى الهدية الثمينة التي قدمها لي والدي صبيحة زواجي وكانت سيف جدي البطل الفاتح الملك « تاو » !

ومضت ايام ولم اعد اذكر شيئا جديدا من ماضي ٠٠ ولكني عندما صحوت من نومي في أحد الايام ، وجدت نفسي قد استعدت ذكرى من اعز ذكرياتي ٠٠ ذكرى يوم عودتي على رأس جيشي وأكاليل الغار تعلو هامتي

بعد غياب عامين في محاربة الآشوريين •• وكيف ان زوجتي الاميرة « نابال » اقتحمت الجموع وطوقتني بذراعيها وراحت تقبلني بحرارة •

أما جولاتنا في الحدائق الغناء ، والرياض الخضراء ، وفوق الروابي والتلال ، وعلى شاطيء النهر الساحر وغاباته الظليلة الوارفة ، ما برحت كلها مرتسمة بفكري لا تبرحه مطلقا •

* * *

يا لله ما يحيرني هو اعتراض امي الحالية الفلاحة الكشميرية الساذجة التي تنكر علي وبشدة كل ما احدثها به من ذلك الخيال الذي يترآى لي دوما وتتهمني بالجنون ، وكانت كلما سمعت مني قصة زوجتي الاميرة « نابال » ، تحدق بي بوجل وفزع ، وتسرع بتمتمة بعض التعاويز محاولة ان تطرد عني الشياطين الذي يتلبسونني ، هكذا كانت تتحدث الى الجارات •• وتزيد قائلة لهم :

ـ يا لولدي التعس •• انه يعتقد بزواجه من امرأة يسميها الاميرة « نابال » ويزعم بأنه امير وابن ملك •• هه ••!

واما انا فكنت في كل مرة اسمعها تتحدث بألم وطورا بسخرية ، اثور واغضب وأكاد افقد عقلي من أقوالها واتهاماتها لي بالخبل والجنون •• ومع ذلك فاني لم انفك من السؤال عن مكان بلدي « تابساك » وعن والدي الملك « تان وان » وزوجتي الاميرة « نابال » الذي لادري كيف فقدتهم •• وكيف بعدت عنهم •

واما الشيء الذي يكاد يفقدني صوابي هو كيفية رجوعي من شاب يبلغ الخامسة والعشرين من عمره الى غلام صغير ، وان ادعى ابنا لاسرة غير اسرتي الاولى !!

ورغم بحثي المتواصل لم اجد أحدا يعلم عنهم شيئا •• وكان الشيء الذي يكاد يذهب بعقلي هو هذه الاسرة الجديدة التي انتمي اليها •• ان الناس كلهم يجمعون بأني ولدهم •• حتى القابلة تدعي بأنها ولدتني من امي « خديجة » واما ابي « احمد » فأنه يؤكد لي وبالايمان المغلظة ويحلف لي بالآله « مردوخ » بأني ابنه وان اسمي « خليل » !•

واما الشيء الثابت الذي لا يمكن انكاره هو انني الامير « آرا » ابن الملك « تان وان » وامي الملكة « تي تاب » وزوجتي هي الاميرة « نابال » •

واخيرا ضقت ذرعا من وضعي المحير •• ولم استطع تحمل سخرية الناس بي ، واتهامهم لي بالجنون ، وهكذا هجرت بيتي وقريتي لأعيش على ضفاف البحيرة المقدسة عيشة الزهاد مع ذكرياتي المحببة •• وفي ضحى أحد الايام وقد خرجت من البحيرة بعد استحمام طويل وتمددت على رمال الشاطيء •• وفجأة انتفضت قائما وقد عقد لساني من الدهشة اذ ابصرت زوجتي الاميرة « نابال » بعينها مقبلة وما كادت تصل حتى ارتمت على صدري وراحت تبكي بحرارة وهي لا تنفك عن شدي اليها والالتصاق بي وكأنها تخشى ان افلت منها ، وسمعتها تخاطبني وكأنها تخاطب نفسها قائلة :

ـ لماذا هجرتني يا اميري ؟•• لا اذكر انني ارتكبت ذنبا يستوجب هجري •• قل لي كم يوما مضى على فراقك لي •• قل لي بربك اين نحن يازوجي ومن اتى بنا الى هنا ؟•• ان هذه البحيرة لا تشبه قط نهرنا •• نهرنا الجميل •• وعند سماعي لكلمة نهر قلت اسأل زوجتي :

ـ أتدرين « يا نابال » انني نسيت على ما يبدو اسم

نهرنا •• فضحكت وقالت :

ــ انك لا شك تسخر يا اميري •• وهل يمكن لأبن الفرات ان ينسى نهره ؟!•

* * *

يا للسعادة ان أحد علماء « بومباي » يؤكد لي وجود نهر على الكرة الارضية يسمى بنهر الفرات •• ولم يكتف بذلك ، بل حدد لي مكانه بالنسبة الى « بومباي » والبعد الذي يفصلني عنه !•

كدت وزوجتي ان نعلن فشلنا بعد بحث دام اكثر من ستة اشهر قضيناها على ضفاف الفرات الجنوبي وبين ادغالها وغاباتها الكثيفة بحثا وتنقيبا عن مدينتنا « تابساك » وفي اللحظة التي كنا تتشاور في امر رجوعنا الى الهند •• اذ بنا نكتشف التلال الثلاثه التي كانت تقابل « تابساك » من ناحية الغرب ، وعلى مقربة من التلال الثلاثة الواقعة في الصحراء جلسنا على الارض وكدنا نصاب بالخبل ويعترينا الجنون •• لاننا لم نجد تفسيرا لما نرى •• ان « تابساك » قد امحت من وجه الارض ولم يبق منها الا بقايا اطلالها •• واما الحدائق الغناء ، والغابات الكثيفة الساحرة ، فلم يبق منها حتى مجرد اثر بسيط ، بل تحولت تلك البقاع التي كانت يوما من الايام غابات من اجمل الغابات ، وحدائق من اروع الحدائق ، تحولت الى بادية قاحلة ، وارض منبسطة تفترشها الرمال التي تذروها الرياح •

وهذم التلال الثلاثة التي كنا نعهدها تزينها الاشجار وتملأ جوانبها وقممها ، قد اضحت تلالا جرداء محزنة المنظر وكأنها هكذا خلقت منذ الازل •

وبينما نحن في ذهولنا وشرودنا عن كل هذه الغوامض والاسرار التي واجهتنا • سمعت زوجتي تنبهني قائلة :

ــ انظر •• انظر •• الا ترى يا امير « آرا » هذه الهضبة لا شك انها المقبرة •• ولم تنتظر جوابي ، بل هبت واقفة واردفت تقول :

ــ هيا امض بنا لنرى ماحل بموتانا بعد ان تبخر الاحياء من مدينتنا البائسة •• اية لعنة نزلت على قومنا وارضنا وتركتها قاعا صفصفا •

لقد تعبنا كثيرا بازالة الاتربة التي كانت تسد المنفذ المؤدي الى القبو الداخلي للمقبرة الملكية واقتضانا ذلك عمل اسابيع •• وما ان تم لنا الوصول الى القبو الذي يحتوي النواويس ، حتى بهت وانا انظر باستغراب بالغ الى التمثال الرأسي القائم على مقدمة احدى النواويس •• وكان يشبهني شبها عظيما وناديت الاميرة « نابال » واطلعتها على التمثال •• وكانت « نابال » اكثر مني دهشا اذ انها لم تجب ، بل اشارت بأصبعها الى تمثال آخر يقوم بالطرف الثاني من الناووس ذاته•• وعندئذ تكلمت قائلة :

ــ وهذا التمثال لمن ••؟•

ياويلي •• انه كان تمثال رأس زوجتي •• زوجتي بعينها •• وفيما كنت مستغرقا في ذهولي سمعت زوجتي تقرأ وبصوت مرتفع ماكتب على مقدمة الناووس وكان كما يلي :

« يرتاح الامير « آرا » وزوجته الوفية الاميرة « نابال » التي انتحرت بعد موته مباشرة حزنا على بعلها البطل ، الصلاة لبعل ، •• الصلاة لهما » !!•

وبعد ان فرغت زوجتي من القراءة ران علينا صمت رهيب •• ولم ادر أأنا في اليقظة ام في المنام ورحت أفرك عيني علهما تسعفاني على الوقوف من حقيقتي وتكشفان لي هذه المعميات والاسرار ، ولا ادري كم مضى من الوقت ونحن جلوس في هذه المقبرة •• بيد اني اذكر ما قلت بعدها لزوجتي « نابال » وبصوت يكاد يشبه الهمس •

ــ ما هذا •• ماهذا •• « يانابال » أيعقل ان نكون ميتين وها نحن اولاء احياء نرزق •• ولكن زوجتي

البقية على الصفحة (٤)

ليس عبثاً !..

بقلم : مروان ج. مراد

قال لي الاعمى ، وهو مستند الى بظهره الى جذع شجرة ، يتأمل بعينين مغمضتين ، اعجاز الله في كل شيء حوله :

ـ أعترف أني كثيرا ما يحرقني الشوق الى لحظة أتحسس فيها جمال الوجود ، وألمس الفرح الغامر ، الذي تفجره الطبيعة ، حتى في ذرات التراب الصغيرة..

بلى ، وأتمنى بقوة ، أن يغمر النورعيني،لأغمسهما بالخضرة والعبير ، وأسقيهما من ينابيع الامل البسام ، المعلق في الغصون .. براعم صبية ، والمتدفق في الجداول ، ماء نقيا .. والمنطلق في الفضاء .. نسمات طرية . تغازل وتلثم .. ولا تسأل ..

لكنني أعود وأحمد الله ، كلما توجهت اليه بقلبي ، أنه أرخى على عيني سدول الظلمة ، فلا تجرحهمامأساة الخلق ، ولا تدميهما أنهار الدموع .. المنسكبةبمرارة، على أطراف الارض ..

.. ألست تحسدني ، أني لا أبصر القوة تقهر الحق، والجور يسحق العدل ، والكراهية تدوس الحب ، والتناقض سيد المنطق ؟ .. بل أظل هائما في عالممثالي سعيد ، من صنع أفكاري ، عالم يغمره الخير والخصب ؟ ! ..

* * *

.. وقال لي الابكم ، وهو ملتف على نفسه في زاوية رطبة من مسجدقديم ، يتمتم بكلمات غيرمفهومة ، في نشوة ، لطيوف غير مرئية :

ـ انك لا تستطيع ، مهما جربت ، أن تحس مبلغ ألمي ، كلما تحركت الشفاه أمامي .. والمرارة التيتجرح حلقي ، كلما جرى في خاطري ، أن الناس قادرون على التفاهم ، وعلى التعبير عما يعتمل في صدورهم من مشاعر ، وأنا من دونهم جميعا ، عاجز عن همسة خافتة تفصح عن حقيقتي ..

.. ولكن ذلك ، مهما يكن قاسيا ، فانه يظل دائما تعزيتي الوحيدة .. فان لساني المربوط ، كفيل بأن تظل كلمة السوء مخبوءة في أعماقي ، فلا أصفع بها وجوه الآخرين .. وأقسم أنه ليحيرني ويدهشني أن كف الله ، أعطت مخلوقاته ألسنة ، لتسبح بحمده ، وتلهج بالثناء على عطائه ، ولتنطق بالكلمة الطيبة وحدها .. فاذا بها أداة لكشفعورات الناس ، ووسيلة لقذفهم بما يسوءهم ، وينتقص من أقدارهم، بلوأكثر من هذا ، أنيابا تعضهم ، وتقطع من لحومهم .. أفلست تحسدني ، أني معصوم عن كل هذا ، ولساني طاهر ما تلوث ؟

* * *

وقال لي الاصم ، وهو واقف بباب مدرسة يتابع بعينيه زرافات الطلاب ، وقد استغرقوا في كتبهم يطالعون :

ـ لقد امضيت سنوات طويلة ، هكذا .. أستعرض

مواكب الصغار ، تشق الطريق الى الغد ، بكبر وأصرار ..

رأيتهم يأتون ويذهبون .. صفا بعد صف ، وجيلا بعد جيل ، وقرع طبول النصر لما يزل صداه في رأسي ..

.. وأكذب ، اذا لم أعترف ، بأن حلم عمري الدائم ، كان دقيقة ، أرهف أذني فيها لهمسة واحدة..

لتكن لثغة رضيع غير مفهومة ..

أو ترنيمة حسون معنى ..

لتكن آهة جريحة ..

أو خفقة قلب نشوان ..

لتكن وقع قبلات المطر المنهمر في ليلة شتاء ، على صفحات الزجاج الساخن ، أو رجع ضربات سنابك الجياد ، على اسفلت الشارع .. همسة واحدة فحسب ، تختصر لي في هنيهة سيمفونية الحياة المسحورة ... ولكنني بالرغم هذا كله ، أعيش العمر بطوله .. رافعا كف الضراعة الى السماء سائلا : ألا تعرف الصوت أذناي ، وأن تظل هدأة الموت معشعشة فيهما .. لاتبرح ..

أفما تحسدني أني لا أسمع أصداء الفناء يدمر العالم ، وأحقاد النفوس تتفجر في كل مكان ، مراوغة وكذبا ، وتربصا بسعادة الآخرين ؟!. أليس الصمم المطبق أروع من الضجيج المروع ، والسكوت الازلي ، أليس خيرا من ضوضاء يتقزز منها العقل ؟

* * *

« ... صمت طويلا ، قبل أن أفتح شفتي ، لتنطق الكلمات وحدها :

ـ ان الله لم يخلق شيئا عبثا ، وقد جعل من بين مخلوقاته ، أعمى وأصم وأبكم لكي يرى فيهم الاخرون ، نعمته الكبرى . وليذكروا ، طول العمر ، اليد البيضاء التي منحتهم كل شيء .. وكانت قديرة ألا تفعل ..

.. انما .. هل هم يرون فعلا ؟!

دمشق : **مروان ج مراد**

بقية المنشور على الصفحة (١٢)

كانت مشغولة عني اذ انها كانت تدون تاريخ الوفاة المنقوش على جانب الناووس فوق رق وبعد ان فرغت اشارت علي بالخروج ، فخرجنا وكلانا لا ندري حقيقة امرنا .

وتذكرت ونحن راجعان الى الهند ومن ثم الى شاطيء البحيرة ـ الوطن الجديد لنا ـ تذكرت ما كنت قد سمعته من كاهن قاله لي يوما :

« نموت ونحيا ، ونحيا ونموت ، وفي كل مرة نصقل ونهذب ، ولن نذهب الى الخلود الا بعدان نكون اناسا كاملين » !!.

وعلى شاطيء البحيرة المقدسة قلت لزوجتي بعد ان وقفت على الذي مضى على وفاتنا وبعثنا ، قلت :

ـ لا أريد ان يبقى سؤالك التي طرحتيه علي ابان لقائنا على ضفاف هذه البحيرة بدون جواب .. واني لا اعلم ما عسى ان يعتريك لو علمت ان فراقنا كان لاربعة آلاف عام ! !

انها الحقيقة ياعزيزتي .. نعم لقد افترقنا بالموت منذ أربعة آلاف عام .. من يدري ربما جئنا خلال هذه الاعوام الطوال الى العالم مرارا .. ابناء لأسر كثيرة .. اننا لن نذهب لكشمير حيث والدتي ووالدي الجديدين ، لأنهما مع الناس لن يصدقوا قصتنا ، وسأظل ذلك المجنون بنظرهم .. وثقي انه لن يقتصر عدم تصديق هذه القصة على سكان « كشمير » وحدهم ، بل ان الناس ، كل الناس ، وفي كل مكان لن يصدقوها ، وبكل بساطة وسهولة سوف يقولون عنها انها « اسطورة » !.

وتفسير ذلك سهل جدا .

اننا ما زلنا اطفالا نحبو في اكتناه اسرار الروحيات ، وقد نحتاج الى سبر اغوارها الى ملايين من الاعوام .

واما الناحية المادية ، فسوف تتوصل الى قممها ، لانها نظرية سطحية ، كسطحية مادة وجودنا الذي نلمسه ولا شيء اكثر من هذا .

أنت الربيع

شعر : **فريد أنطونيوس**

« الى أمل ... »

يختال في عينيك نوّار
وتموج أشواق وأسرار
حلم الهوى الوردي ، أحرفه
شدو على الشفتين معطار
همس الربيع لكل سوسنة
أمل ، وأنت الطيب موار
يا حسنه ، يغفو على عنقٍ
خال شجيّ البوح ، ثرثار
يروي حكاية وردةٍ عشقت
بتلاتها كالصبح ، أطهار
حلمت بخدٍ تستظل به
فكأنها ، والحب إيثار
لم تدر وهي في تلهفها
أيا من الخدين تختار
فبكت ، ومن مثلي رأى دررا
دمعا بعين الورد يحتار

أهوى الجدائل ثار ثائرها
تغوي ، وتفتن ، ثم تنهار
وترف فوق العنق هائمة
خفقاتها دفء وأشعار
واللحن منسكبا على شفةٍ
همساتها نغم وقيثار
للشدو والأنغام كم نُسجت
من هدبك المخمور أوتار
غني فقد طاب الهوى نغماً
في ليلنا ، والكون خمار
ليل الغوى والطيب يجمعنا
والذكريات ، ونحن سمار
أنت الربيع ، فلاوني أبداً
يختال في عنيك نوّار

فريد انطونيوس

دراسة في المنهج التجريبي

فراس سواح

يراد بمنهج البحث في أي فرع من فروع المعرفة البشرية ، الطريقة التي يتبعها العقل في دراسته لموضوع ما ، للتوصل الى قانون عام ، او مذهب جامع .

او هو فن ترتيب الافكار ترتيبا دقيقا بحيث يؤدي الى كشف حقيقة مجهولة ، او البرهنة على صحة حقيقة معلومة ، والباحثون على حق حيث يحرصون على تحديد المناهج التي يعالجون بها دراساتهم قبل مزاولة البحث في موضوعاتهم . ان البحث عن الحقائق ، ومحاولة التوصل الى قوانين عامة لا يكون قط بدون منهج واضح يلزم الباحث نفسه بتتبع خطواته ومراحله .

وقد كانت الفلسفة طوال القرون الوسطى وما قبلها ، تقوم على أساس خاطىء لا يمكن ان يؤدي الى علم جديد ، فقد اتخذت القياس المنطقي سبيلا لتأييد الآراء والمذاهب ، والقياس المنطقي المشهور أقره اليوناني ارسطو وعني به كل العناية . فالقياس أخص ما في منطقة الصورى ، الذي يعني بالبحث في صور التفكير دون مادته ، الامر الذي جعل قوانينه الصورية تنسحب على كل موضوع ، ومطلقة بمعنى انها ثابتة لا تتغير . وفي هذا القياس الصوري يبدأ الاهتمام بمعرفة الطرق التي يؤدي اتباعها الى استنتاج نتائج ضرورية من مقدمات عامة يسلم بها المرء مقدما ، او يفترض انها صادقة بصرف النظر عن الواقع ، وهكذا كانت غاية القياس الصوري هي الاستنباط الصادق ، او عدم تناقض الفكر مع نفسه ، لان نتائجه تكون صادقة بالقياس الى المقدمات ، لا بالقياس الى الواقع .

وقد شاع هذا القياس الارسططالي ابان العصور الوسطى ، واستبد بالمدرسين خاصة . وهؤلاء هم الذين تابعوا ارسطو واعتبروا كل ما اتى به بمثابة الايات المنزلة ، محاولين دائما التوفيق بينه وبين المسيحية بشتى الوسائل . وكان زعيم هؤلاء القديس توما الاكويني .

ولكن ما ان اتت العصور الحديثة حتى وجد الفكر البشري نفسه بحاجة الى مناهج جديدة في البحث ، ليستطيع التلاؤم مع طبيعة التطور الجديد ، فالقياس المنطقي وسيلة عقيمة في كثير من وجوهه ، واذا اريد بالفعل انتشال الفلسفة من الهوة التي تردت فيها ، فلا بد من ثورة تهدم كل اسلوب البحث العتيق البالي .

وكان لا بد من انتظار الفيلسوف الانكليزي « فرنسيس بيكون » المولود عام ١٥٦٠ ليقوم بهذه المهمة ، مهمة هدم القديم وانشاء الجديد ، فولد على يديه المنهج التجريبي الذي يعتمد على الاستقراء والذي وضع كبديل للمنهج السابق منهج القياس الارسطي ، فشكل نقطة تحول في تاريخ الفكر الانساني .

اذا كان القياس الصوري يهتم بالطرق التي يلزم اتباعها لاستنباط نتائج من مقدمات سبق التسليم بها ، بمعنى ان تكون النتائج صادقة بالقياس الى هذه المقدمات العامة ، لا بالقياس الى الواقع ، فان الاستقراء على عكسه يهتم بصدق المقدمات العامة التي يراد أن

يستنبط نتائج صادقة • ومن هنا كان صدق النتائج في الاستقراء يقوم في مطابقتها للواقع ، اما صدق النتائج في القياس فيقوم في اتساقها مع المقدمات دون النظر الى الواقع كقولنا مثلا :

« كل المستعمرين يحبون الخير لمستعمراتهم » •

« الانكليز يستعمرون جنوب افريقية » •

« الانكليز يحبون الخير لجنوب افريقية » •

هذه نتيجة صادقة في القياس كاذبة في الواقع ، ومرجع الخطأ بها الى ان مقدمة القياس الاولى ، او ما يسمى بالمقدمة الكبرى خاطئة في دنيا الواقع • ومن هنا اراد المنهج التجريبي ان يتثبت من صحة المقدمات بالنسبة للواقع حتى تكون النتائج التي يحصلون عليها صادقة بالفعل ، لا من الناحية وحدها •

من اجل هذا رفض بيكون ان يقيم استدلالاته على مجردالتفكير النظري البحت ، وطالب بالاعتماد على الاستقراء ، باستخدام الملاحظة والموازنة والتحليل للتوصل الى المقدمات العامة ، وبذلك يمكن ضمان صحة النتائج •

فالاستقراء في المنهج التجريبي يقوم على مشاهدة الظواهر وتفسير العلاقات القائمة بينها ، بينما يقوم القياس في المنطق الصوري على التفكير النظري الخالص •

لقد كانت الصيحة الاولى التي اطلقت في الدعوة الى التجربة العملية هي صيحة بيكون ، الذي دعا الى نزع تلك الهالة عن التفكير النظري • وهو في ذلك يقول في كتاب « المقالات » :

« اما ان تنفق في الدراسة النظرية وقتا طويلا فضرب من الخمول • واما ان تزداد بها فحب للظهور • واما ان تصدر في رأيك عن قواعدها وحدها دون غيرها فتلك طرافة ما بعدها طرافة • ان الدراسة النظرية لاتعلم كيفية استخدامها ، اذ ان استخدامها حكمة خارجةعنها، وهي خير منها وتكتسب بالملاحظة » •

ولا شك ان هذه الاسطر القليلة التي خطها قلم بيكون تمثل احسن تمثيل تلك الصيحة الداوية التي وضعت حدا للفلسفة المدرسية ، ورفعت من شأن الملاحظة والتجريب •

على ان دعوة بيكون الى التجربة العملية ، لاتعني انه رغب عن الكتب وانصرف عن حياة التأمل النظري كليا • ولنستمع اليه يقول في مقدمة احد كتبه : « انني لا اطيق الحياة بدون فلسفة » • وقال في مكان آخر : « اني رجل خلقت اقرب الى الادب مني الى أي شيء آخر » •

نعم لقد كان بيكون الى جانب الحياة العمليةمفكرا عميق التفكير رائع البيان • واجمل اتجاه الادبيطائفة من المقالات دبجها بأسلوب بارع اخاذ جاءت في جلال لفظها وجمال معناها مجموعة نفيسة نادرة من اروع ما اتجه الفكر الانساني منذ نشأته الى اليوم •

وقد تشابه اسلوب بيكون الادبي الى حد كبير مع اسلوب الكاتب المسرحي شكسبير ، لدرجةان كثيرين ممن حققوا في حياة شكسبير وآثاره ، يؤكدون ان شكسبير ليس الا شخصية خيالية وان كاتب مسرحياته الحقيقي هو بيكون نفسه •

والآن ما هو هذا المنهج التجريبي ، الذي قيض له ان ينتشل العلوم الحديثة من وهدتها ويسير بها في الطريق القويم ، وما هي مراحله التي تختلف عن مراحل المناهج السابقة ؟ لمنهج بيكون اربع مراحل نستطيع تلخيصها فيما يلي :

فأولا : نجد لزاما علينا عند دراسة ظاهرة طبيعية معينة بقصد فهما ووضع قانون عام لها ان نبدأ بجمع الحقائق عنها • فجمع الحقائق أساس الاستقراء • ولا

بد ان نكون لكل ظاهرة من الظواهر التي ندرسها تاريخا يمكننا من تتبع احوالها المختلفة ، وقد اعد بيكون نفسه مجموعة من هذه التواريخ ، فكتب تاريخا للرياح يحدد فيه هبوبها المنتظم وغير المنتظم ، والظروف التي تحدث فيها والآثار التي تصحبا وتاريخا آخر للحياة والموت .. وهكذا .. ووسيلته في كل ذلك هي التجربة والملاحظة .

ثانيا : المرحلة الثانية هي مرحلة الترتيب والتبويب، حيث تقسم الحقائق المجتمعة لدينا الى قوائم : قائمة حضور ، قائمة غياب ، وقائمة مقارنة ، ففي القائمة الاولى تبدو كل الاحوال التي تتجلى فيها الظاهرة المعروضة امامنا ، والامثلة التي تثبت حضورها . فلتعرف طبيعة الحرارة وخواصها مثلا ، يجدر بنا ان نتتبع مصادرها المختلفة ، كأشعة الشمس ، والمياه المعدنية ، والاحتكاك . وقد جمع بيكون من هذه الامثلة ٢٧ مثالاً فظهرت فيها الحرارة ماثلة بالفعل . وفي القائمة الثانية تجمع الاحوال التي نتخلف فيها الظاهرة السابقة لتخلف ظرف من الظروف او سبب من الاسباب فنضع أمام كل حالة من السبع والعشرين المثبتة لوجود الحرارة احوالا أخرى لا حرارة فيها مثلا : اذا كانت أشعة الشمس الساطعة هي مصدر الحرارة ، فان اختفاءها بالكسوف يخفي الحرارة معها ، واذا كانت تسخن سطح الارض فانها ليست قادرة على اذابة الثلوج الدائمة فوق قمم الجبال . كما اننا اذا اخذنا حالة دم الحيوان كسبب للحرارة ، فان التجربة تقودنا الى ان دم بعض الاسماك والحيوانات الميتة بارد ... وهكذا ... وقد استطاع بيكون ان يقدم لظاهرة الحرارة التي اتخذها نموذجا لبحثه ٣٢ حالة غياب تقابل حالات الحضور الآنفة الذكر . أما القائمة الثالثة فنثبت فيها تنوع الظاهرة الماثلة بين ايدينا ، والاحوال التي تحدث فيها على درجات مختلفة ، فبذكر امثلة تزيد فيها الحرارة واخرى تنقص ، وهنا يقدم بيكون ٤١ مثالا تبين تغير الحالة زيادة ونقصانا تبعا لتغير الظروف .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة الاستقرار الحقيقي وفيها تتم عملية التنحية والعزل بعد الفراغ من اعداد القوائم الثلاثة السابقة . فنتناول هذه القوائم ثم نأخذ في رفض امثلة مما اثبت في القائمة الاولى بعد ان تبين من القائمة الثانية انها لا يمكن ان تكون سببا للحرارة (ونحن هنا نتابع مثال الحرارة) ، فنرفض الشمس كسبب للحرارة ، ونرفض دم الحيوان كسبب للحرارة، وهكذا يبقى في النهاية ما يدل على السبب الحقيقي ، وقد وجده بيكو في مثالنا هذا وهو « الحركة » .

المرحلة الرابعة : بعد الانتهاء من مرحلة التنحية والعزل ، قد يتبقى لدينا فرضين او اكثر سبق للباحث افترضهما لتفسير ظاهرة ما ، وعجزت وسائله عن ترجيح احدهما . عند ذلك من واجبه ان يرسل البصر الى العالم الخارجي مرة اخرى عسى ان يصادف في الطبيعة حقيقة تعينه على ترجيح سبب على سبب فان وجد مثل هذه الحقية كانت له منقذا وهاديا ، لانها ستشير الى الطريق السوي كما تفعل الانصاب الحجرية التي توضع في الطريق هلى هيئة صليب لتهدي المسافرين . ولذلك اطلق بيكون على هذه الحقائق والامثلة اسم : الامثلة الصليبية .

هذه هي باختصار مراحل المنهج الجديد ، ولكن العقل الانساني قبل ان يدخل في غمار هذا المنهج ، لا بد له من تهيئة ومن مرحلة خاصة يصفى فيها من شوائبه ، ومن الاوهام التي تسير به في طريق الزلل والضلال ، ويجمع بيكون هذه الاوهام في اربع مجموعات تحوى كل مجموعة على نوع خاص من الاوهام .

فأولا : هناك « اوهام النوع » ، وتنشأ من طبيعة العقل الانساني وضعفه بوجه عام ، فهو يعمم حيث لا يجوز التعميم ، وهو في تعميمه لاحدى الحالات ، لا يحال الالتفات الى الحالات المعارضة لها • كما ان العقل يفرض في الاشياء درسة من الاطراد والنظام اعظم مما هي في الواقع • ومن جهة اخرى فنحن نحاول دائما تأكيد ما نؤمن به دون الالتفات الى مظاهر اخرى مخالفة ، وهذه الاخيرة اما ان تهمل او يصغر من شأنها ، او ترفض في تعصب ذميم ، فأهون علينا بكثير رفض الحق من ان نرفض فكرة ركنا الى حقيقتها زمنا طويلا •

اما النوع الثاني من الاوهام فيدعوه بيكون بأوهام الكهف ، فلكل منا كهفه الخاص ، فهو يتلاشى في ظلال عاداته وتربيته ويصبح اسيرا لها فيصدر في كثير من آرائه واقواله عنها •

والنوع الثالث من الاوهام هو اوهام السوق ، ويراد بذلك تلك الاخطاء الشائعة والناشئة من التخاطب والتعامل مع الناس ، ومصدرها الاول في اللغة وعجزها عن التعبير عما يريده الانسان تعبيرا صادقا •

واخيرا هناك اوهام المسرح • وهي تنشأ من احترامنا لكل ما جاءنا عن طريق الاقدمين وتسليمنا به دون بحث ، ويقول بيكون في التعليق على مثل هذه الاوهام انه ليس هناك من داع لان نذعن لارسطو ، هذا الاذعان وقد وقع في مغالطات كثيرة ، ولا ان نؤمن بما يقوله افلاطون وهو ذلك الشاعر المملوء خيالا •

هذه هي اوهام العقل وعوامل الخطأ ومن تقسيم الدراسة العلمية الا اذا تجنبناها وحاربناها •

كتب بيكو في التاريخ والقانون والادب والفلسفة ، وقد المحنا سابقا الى مؤلفاته الادبية التي اشتهرت باسم المقالات ، وهي تعد من جملة نفائس الادب الانكليزي • وفي كتابه ذاك كان معجبا بكتاب «الامير» لميكيافيلي ، فانتصر للسياسة الواقعية التى ترى ضرورة القسوة والحرب • واعجابه بمبدأ الغاية تبرر الواسطة لم يظهر فقط في كتاباته بل ظهر في اعماله • لقد كانت اخلاقه بوجه عام اخفض بكثير من مستوى عبقريته ، اذ كان همه الوحيد التقرب من بلاط الملكة اليزابيت ، باعتباره نائبا في مجلس النواب مخاطرا بذلك باصدقائه ومحبيه واشيا بهم مسببا لهم السجن والتشرد • كما ان مجلس النواب اتهمه اكثر من مرة بالرشوة وقبول الهدايا ، وحكم بالحرمان من الوظائف العامة وتمثيل الامة •

ولكن بالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من كثرة نقاده الذين تناولوه بالنقد والتجريح فانه يعتبر بحق ابو المنهج التجريبي الاول ذلك المنهج الذي جعل الطريق ممهداً امام علوم العصر الحديث فسارت عليه محققة اكبر الانتصارات التي تتمتع بثمارها اليوم •

ويشاء القدر ان يكون بيكون نفسه ضحية لمنهجه الذي وضعه • ففي احدى المرات عندما كان بيكون عائدا الى لندن من احدى رحلاته الصغيرة راكبا في عربته ومستغرقا في تفكير عميق يتأمل الثلج المحيط بالطريق ، حدث ان خطر له خاطر مفاجيء : الا يمكن حفظ اللحم من التعفن بواسطة تغطيته بالثلج ؟ • ولم يتردد وانما امر السائق بالوقوف ونزل من العربة الى مزرعة قريبة حيث اشترى دجاجة وقام بذبحها وحشى جوفها ثلجا ووضعها في اناء مملوء بالثلج ، ليرى كم من الوقت يمر عليها دون ان تتعفن • وكان من اثر نزوله الى الثلج ومكوثه في البرد فترة طويلة ان اصابه مرض عارض تحول فيما بعد الى مرض صدري خطير تسبب في وفاته بعد فترة قصيرة •

وقبل ان يموت كانت آخر كلماته : لقد نجحت التجربة •

الرجل المجهول

بقلم : ام عصام

الانغام الصاخبة تملأ الغرفة الكبيرة ، الضحكات الانثوية تزرع بسمات رضية ونظرات دهشة في وجنات الرجال •• ملابس النساء الزاهية تلون جو السهرة ربيعا دافقا ، في انعكاس أضواء حمراء خافتة ، تتلاحم الاجساد وتتباعد في رقص جنوني لا يعرف الهدوء••

وقفت في مدخل غرفة تطل على ذلك الحفل الكبير•• دخان اللفائف يجتذب دمعات من عينيها •• فتسند رأسها الى طرف الباب وتغمض جفنيها ، وتسيل دمعتان على خديا في مجرى طويل حفر في وجنتيها حكايا بعيدة وقريبة •• يا لغرابة الحياة ! الكل يسرح ويضحك •• لماذا ؟ ألانهم يودعون عاما ويستقبلون عاما ؟ وهل الوداع يعرف نكهة السعادة ؟ هي تعرف المرارة وطعمها •• اما هؤلاء الصاخبون فلا تعرف عنهم شيئا •• كل ماتعرفه أنها دعيت مع زوجها الى هنا •• وجوه غريبة عليها •• وأرواح أغرب وهم في جنونهم اللا منطقي هذا ••

وتضيع في رنين أجراس بعيدة يسكن أذنيها •• تضيع مع أعماقها ولهثات أيامها الماضية •• حفنة شهور وكومة أيام تودعها هذه الليلة • سنة كاملة طويلة بتعداد ساعاتها ودقائقها •• عرفت فيها الهناءة والالم•• تذوقت منها الرضا والغضب •• عاشتها لحظات حلوة هنية وأياما قاحلة عطشى •• كل هذا عرفته وتذوقته وعاشته ، والآن أيحق لها أن تفرح وتمرح ؟ أتفرح للسعادة التي مرت عليها سحابة صيف ؟ أتمرح للالم الذي خلق منها انسانة مفرطة في أحاسيسها فيما يعترضها من أحزان ومشاكل ؟ •• أتبتسم للحظات الرائعة التي تذوقتها وخلفت في حلقها حنظلا لا يضيع ؟ أشياء كبيرة وكثيرة عرفتها طوال أيام تلك السنة •• فكيف تفرح لكل هذا ؟ •• الوداع لا يعني لديها الا اللوعة والحرقة •• اما هذا الجنون الصاخب فلا تعرف له سببا •• وتفتح عينيها قليلا على أنغام هادئة تبدلت•• وتغرس نظراتها في الاجساد المتلاحمة •• تراهم صادقين في ابتساماتهم المزيفة هذه ؟ تراهم يحسون بهذا السرور وبهذه النشوة فعلا ؟ ••

وتضيع لفترة في تساؤلات كثيرة •• ثم تتذكر زوجها ، ترى أين هو الآن بين تلك المجموعة البشرية • ؟ ••

وتقف نظراتها عليه يعانق زوجة صديقه ويراقصها•• وتبتسم بأسى معهود ، من الطبيعي دائما أن يراقص هذه المرأة ! يستلطفها ويحسبها في تعداد من يعجبه من النساء ، لكنها تحمل الرقم الاول دائما للنظرة المغرية التي تسكبها من عينيها ، والابتسامة المتلونة بدفء على شفتيها ، والجسد المتعاطف الذي يرتمي عليه بتكاسل واستسلام مطلق ••

وحشة غريبة ووحدة قاتلة تسبح فيهما في وقفتها هذه •• حتى في هذه الليلة المميزة من العام كله ،

تحس بغربتها .. وتمرغ رأسها التعب على جدار الباب كأنها تبث له شكوها . وتفترضه صدرا رحبا يحنو عليها ويضم كل افكارها ، يلثم جراحها ويهدهد أمانيها في نبضات صادقة تغرد باسمها ..

وتمتد يدها وهي مغمضة العينين الى حقيبتها تلتجيء الى لفافة صديقة تستل منها ما يميت هذا الهم الجاثم على صدرها .. وحين تدخل اللفافة ملجأها بين الشفتين تحس بنار لاهبة تلفح خدها، فتفتح عينيها السابحتين في ألق دموع خفيفة لتجده أمامها مادا يده ليشعل لها لفافتها .. وتتساءل أعماقها عمن يكون هذا الغريب الذي شعر بها ، والذي انفرد من جو الحمى اللاهبة التي تلسع الكل هذه الليلة ؟ .. وتبتسم له شاكرة ، فيجيبها بعينين مغروزتين في وجهها لاتحيدان عنه ، وتحول وجهها ملتجئة الى الجموع البشرية المتحركة الراقصة .. فيظل في وقفته بجانبها لفترة ، ثم يغيب في خطوات بطيئة سمعتها رغم الضجيج ويضيع في ثنايا الغرف المزروعة في البيت الصاخب .. تضمها بوادر خوف في وحدتها هذه تدفن شفتيها وقلقهما في اللفافة الصديقة .. الوحيدة التي لاتفارقها ولا تملها طالما تدفع لها الثمن ! .. وزوجها ؟ .. أما دفعت له حياتها كلها ثمنا فكان نصيبها الضياع والوحشة ، دائما يبحث عن المغريات .. دائما يبحث عن لون جديد دائما يبحث عن كنز مخبىء في امرأة .. أية امرأة .. وهي مشطوبة في خط مرقوم اسمه ملل، هويته امتلاك .. وتتفرق الجموع الراقصة لتنتشر على الموائد الحافلة بما لذ وطاب من مأكل ومشرب.. ويغرق في أذنيها رنين الكؤوس .. ويتراقص شبح الغريب أمام عينيها يحمل كأسين من الشراب ، ويقترب منها .. يقدم لها الواحدة . تعتذر منه ببسمة خفيفة تخفي حزنها .. يزرع في وجهها وليد اعجاب .. ثم يبتعد بكأسيه .. تغادر وقفتها تبحث عن زوجهافتجده بجانب غريمتها المعهودة أمام المائدة .. تقترب من جواره وتدفن ضياعها بين الكل ..

تمتد يد الغريب اليها بقطعة من التفاح . ينسل أسى من تساؤلها وهي تنظر اليه .. لم يهتم بها ؟ .. وباصرار مركز ؟ .. الرجل الوحيد الذي يشعر بها هذه الليلة .. تستغرب مراقبته لها .. في تلك اللحظة فقط يتذكرها زوجها .. يتذكرها حين يلمس تأرجحها بين أخذ قطعة التفاح أو رفضها .. يلتفت ببقايا غيره الى الرجل المجهول ينظر اليه شذرا .. يستكثر عليها بعض تفاحة تقدم اليها من رجل ما ! تمتد يدها تأخذها وتشكره .. يسألها زوجها : من هو ؟ .. تجيبه : لا أعرفه ..

ويعود الى المرأة الاخرى بروح مرحة وابتسامة مغرقة في السعادة .. تعد الانغام الحالمة تجتذب الجموع البشرية الى الغرفة الكبيرة .. مرة ثانية تجد نفسها وحيدة . تزحف قدماها الى مكانها بجانب الباب يبحث رأسها التعب عن صدر الباب الحنون يبدد ضياعها وصمتها الذي تغرق فيه .. لقد تعبت من حديث أعماقها .. الحديث الوحيد الذي لا ينتهي .. دائما يناقشها ويحاسبها .. دائما يصنف لها البشر .. دائما يعذبها ، ذلك الرفيق الوحيد الذي جنته من حياتها .. يتجاوب الجماد لتوقها .. يجتذبها الباب أكثر فأكثر ، تلصق جسدها عيه برفق . رأسها يتمرغ على حنوه .. تحسه لحما دافئا يحتويها بين ذراعيه.. تنفرد عن ضجيج السهرة وتستمر في رقصة ولقاء مع الباب ..

تضجر من القسوة التي تصافح جسدها .. تضجر .. تتمنى .. ولكن ماذا تتمنى ؟ .. تتمنى الهرب من ذلك الجو .. الهواء يفسد رئيتها .. ماذا تعب ؟ .. تعب الدخان والتمثيل والتزييف .. كل واحد يمثل على مراقصته ، يتصنع الابتسامات البلهاء ويغدق الكلمات الروتينية التي اعتاد ترديدها لكل واحدة تحتويها ذراعاه .. لا تريد .. لا تريد أحد

من الحاضرين •• لا تتمنى أي انسان منهم لتراقصه ، ليبدد وحشتها ويذيب غربتها ، مشاعرها تسمو كثيرا على مشاعرهم •• كلهم كاذبون •• كلهم ممثلون مخادعون •• تريد الهرب والالتجاء الى غرفة فارغة ، جوها نظيف وجدرانها صادقة •• هناك ستغرق مع أعماقها بهدوء وسكينة بعيدا عن كل البشر •• تريد الهرب لوحدها تاركة حتى زوجها الساكن بين تعاطف يدي المرأة الاخرى المغرية التي تمتلكه •• أما هي لم تستطع أن تنبت في قلبه حتى شوكة ماتت دمائها وردة •• لا مبالاة قاتلة يسكبها هذا الزوج بين حناياها دائما • تدعوها يد الغريب للرقص •• تتردد لحظة •• يتجول في أعماقها شعور مسعور بالانتقام •• وممن تنتقم من زوج لا يتذكر حتى وجودها معه ؟ •• من نفسها ؟ نفسها تأنف هذا التزييف والتملق لكنها تنصاع للرقص •• ستجرب •• ستجرب •• تحتويها ذراعا ذلك المجهول •• يغرقان بين الجموع المتلاحمة •• تبتعد بجسدها عن جسده •• لا تريد الالتصاق به •• ومن هو لتسلمه نفسها هكذا وبسهولة مرتمية بين يديه بانعطاف واستكانة ؟ •• لا •• لا •• صحيح أنها قبلت مراقصته للفراغ الذي يعذبها ، ولكنه بالنسبة اليها انسان مجهول •• لا تعرف عنه شيئا •• حتى ولا اسمه • تعرف أنه أشعل لها لفافة وقدم لها قطعة من التفاح فقط ••

يحاول كغيره أن يذيب صمتها باعجاب بدأ يتوالد على شفتيه كلاما وأسئلة •• تتجاهل سماع أي شيء •• يعيد كلماته بهدوء •• يسألها عمن تكون ؟ ولم هي وحيدة ولم الصمت والحزن رفيقاها ورفيقا عينيها الجميلتين وملامحها الجذابة؟ •• تلتجيء الى سكوتها •• يمحي الاجابة على أسئلته ••

تلتقي نظراتها فجأة بنظرات زوجها •• ترتسم دهشة على وجهه وهو يعانق المرأة الاخرى ويراقصها •• تحس بشيء من الرضا واهمة أنها استطاعت أن تزرع في قلبه بذرة الشك والغيرة •• تعود الى وجه الرجل المجهول الذي يراقصها تجمل وجهها ببسمة زائفة •• يعاود تساؤله عن حزنها •• تدير وجهها تبحث عن الغيرة في وجه زوجها تجدها متمازجة مع انغماسه العميق في جوه الخاص •• تنبثق في أعماقها نقمة لا تعرف مداها •• تتصارع قوى الخير والشر في نفسها •• يسبح صدرها بضيق لا يتوقف •• ضربات قلبها النقي تشعرها بأنها لم تخلق لمثل هذا الجو •• لا تستطيع الكذب والتمثيل •• لا تستطيع ••

كانت تعرف بأنها خلقت لانسان ستحبه ويحبها فقط •• أما أن تعيش هكذا رصيد حياتي منزلي على الهامش ! كتلة جامدة تتحرك في البيت وترافق الزوج جسرا يعبره للسهرات والمجتمعات ثم تعود بآلية تخلو من كل احساس حتى من الحنين لما كانت تتمناه من دنيا الحب هذا ما لا تستطيع احتماله بعد اليوم •• وهذا الانسان الغريب الذي يراقصها ما الذي جذبه فيها ؟ •• هل هي مسحة الحزن التي تكسو وجهها أم وحدتها المتلفعة بها ؟ •• أم بقايا جمال نسته الايام ؟ وهل عليها أن تستمر ؟ ولم ؟ •• لا تربطها بهذا الغريب أية معرفة أو عاطفة ؟ •• وزوجها في غيبوبة مع المرأة الاخرى ؟ •• فلمن تدفع الثمن ؟ ••

حينما وقفت الانغام لاهثة لتعاود الاستمرار في غمرة لحن آخر تخلصت من مراقصها لتتجه الى غرفة الملابس تتلقف رداءها ومحفظتها ثائرة حانقة •• وحين لحق بها زوجها مهددا : من هو ؟ •• سأثير فضيحة ان اهتم بك ثانية ، كانت تودع وجهه بنظرة فيها تساؤل ودهشة ، ويد المرأة اللعوب تشده بدلع واغراء تدعوه للرقص ثانية ••

لما تعاطف لمن تدعوه نسي ثورته في أرجاء غرفة خالية •• خالية حتى من زوجته التي اتجهت الى باب المنزل الصاخب تغادره ، لتفتح صدرها للهواء النقي ، وتفتح قلبها لآمال سنة جديدة تولد في تعانق عقربين طال فراقهما ••

ام عصام

لو كان لي !

شعر : سهيل عجي

لو كان ، يا صديقتي الجديدة !
لوكان لي ! أن اعبر البحار
ألملم الياقوت والمحار
أبحث عن غرائب السفر
في جزر بعيدة ...
فمن جزيرة درر ،
أصوغ منها صندلا ، للقدم الصغيرة !
ومن جزيرة قمر ،
وزهرة غريبة ، للخصلة الغريرة !

* * *

أو كان لي !
أن ابتني بغداد من جديد !
وأملأ القصور بالقيان ، والعبيد !
أن أسرج الجياد في ملاعب الظفر ،
وأهرق الخمور والطيوب في مرابع السهر !
لو كان لي !
أن ابتني بغداد من جديد !
جليلة ، عريقة ، كما أريد ،
لكنت شهرزادها الوحيده ،
وكنت فوق عرشها ، أميرة ،
وفي ضمير كل شاعر قصيدة !! ...

* * *

لكنني ، اذ أطلب المحال !
وأزرع الرجاء في الرمال !
عندي أنا ،
أغلى من الكنوز واللآل ،
وفوق ما يصور الخيال ،
الحب والاشعار !
الشوق والاشعار !
وعالم يسوج بالاسرار !
عندي أنا ،
أغنية ، حروفها شموع
ومعبد ، خموره دموع !
وأنت في أقداسه
معبودة وحيده
يا أنت ، ياصديقتي الوحيدة !

ابن عربي في ذكراه المئوية الثامنة

كان داعية الحب في زمن ساد فيه الكره !

بقلم : رشاد دارغوث

في عصر تطغى فيه المادة ، ويتعبد الناس في محاريب الوثنية ، يحلو الرجوع الى الروح .

ومحي الدين بن عربي ، في عالم الروح ، مشعل ، ما عرف الناس أسطع منه نورا ، بعد الانبياء والرسل. وهو ذروة في الانفتاح العلمي والمحبة الشاملة . اليس هو القائل منذ سبعة قرون ، بقدم الانسان على سطح هذه الارض ؟ بل ، أليس هو الداعي الى دين الحب ، في زمن ساد فيه التعصب والكره ؟

لقد عرف ابن عربي بلقب آخر هو الشيخ الاكبر او سيدي محي الدين — بعد ان احاط بمعارف عصره ، وكان قمة في رجال التصوف في الاسلام .

والتصوف فلسفة قائمة بذاتها . اذا لخصناها قلنا انها « العبادة والمحبة » .

والمتصوفون قوم آمنوا بالالهام الباطني ، واعتقدوا انه طريق للمعرفة ، توازي طريق النظر او العلم بالحواس والعقل . وقد دعوا ذلك الكشف ، او العلم الرباني او اللوني . وشبيه به ما عبر عنه سقراط من قبل بقوله انه كان « يسمع بأذنيه ما تلقيه اليه الروح ! »

وقد ولد ابن عربي في الاندلس ، منذ نحو من ثماني مئة عام في ٢٨ تموز ١١٦٥ للميلاد . وكان مسقط رأسه مدينة مرسية . وهو من اسرة عرفت بالعلم والتصوف . وقد درس الحديث والفقه على شيوخ زمانه ، كما اتصل بفقهاء تونس الافذاذ ومتصوفيها ، واخذ عنهم ، اثناء اقامته الطويلة في مدينتي « اشبيلية وسبتة » . وفي المدينة الاولى اتصل بابن رشد صديق والده ، وقاضي المدينة وشارح ارسطو ، والمعلم الثاني للبشرية .

بعد ذلك نزح ابن عربي الى المشرق ، في هجرة لم يعد منها . فطوف في اكثر اقطار العالم الاسلامي ، قبل ان يستقر في دمشق ، وفي هذه المدينة بالذات قضى نحبه ، عن عمر ناهز الخامسة والسبعين .

وقد شغل ابن عربي ، قبل هجرته ، منصب وزير لدى ملك المغرب ، الذي رغب في ان يتقوى به لدى جماهير « المرابطين » .

وعاش الشيخ الاكبر — يرفعه المعجبون المقدرون

الى القمة، ويحط به الخصوم المفترون الى الحضيض ..
ومن أبرز أولئك كان الشاعر ابن الفارض والفيلسوف ابن رشد والعالم مجد الدين الفيروزبادي ، وسواهم كثير . ومن ألد خصومه كان رضي الدين ابن الخياط .

واخيرا برأ المستشرق نيكولسون ابن عربي ، وسواه من المتصوفين، من تهمة القول بوحدة الوجود، التي ألصقت بهم للحط من مكانتهم .

وقال نيكولسون، في كتابه «التصوف الاسلامي»:

ان الصوفي لا يدين بوحدة الوجود ، ما دام يقول بتنزيه الله تعالى . حتى الحلاج الذي زعم انه قال : « انا الحق » . وابن الفارض الذي عزى اليه قوله : « انا هي » . — ويعني الحقيقة الالهية — وابو زيد البسطامي الذي يروي عنه قوله : « سبحاني ما اعظم شأني ! » — جميع هؤلاء المتصوفون لم يقصدوا بكلماتهم هذه الى القول بوحدة الوجود قط . وانما صدرت عنهم هذه الاقوال ، في حالة جذب روحي ، ووجد صوفي ، شبيهة بجذب المولهين ، ووجد العشاق المتيمين . فهي تدل على فنائهم في الله لا على ايمانهم بوحدة الوجود . » .

وكان ابن عربي من اخصب المؤلفين عقلا، وأوسعهم خيالا ، كما قال عنه المستشرق بروكلمان . وقد عدد له زهاء مئة وخمسين مؤلفا ، بين مخطوط ومطبوع ، لا تزال باقية للآن . اما ابن عربي ، فيذكر لنفسه ، من تلك المؤلفات ، مئتين وتسعة وثمانين كتابا ورسالة، اثبت اسماءها بيده قبل وفاته بست سنوات .

وهناك من يجعل عدد مؤلفاته خمسمائة ، او اربعمائة ، ومهما يكن من أمر ، فان ابن عربي يفوق أمثاله من كبار الفلاسفة في الاسلام ، كالغزالي وابن سينا ، من ناحيتي الكيف والكم معا . وهو ، كما يقول الدكتور عفيفي في دراسته القيمة على فصوص الحكم : « ان ابن عربي كان اغزرهم علما ، وأوسعهم أفقا ، وأدناهم الى العبقرية والتجديد » .

واشهر مؤلفات ابن عربي « الفتوحات المكية » بالاضافة الى « فصوص الحكم » المذكور . وفي الكتاب الاول يذكر ابن عربي ما ثبت اليوم للعلماء المحدثين ، من ان الجنس البشري قديم على سطح الارض وان وجود الانسان يرجع الى مئات ألوف السنين . فيقول ابن عربي معللا ذلك : « قبل آدم الصغير ابي البشر ، كان هناك أوادم كثيرون .. » فيسبق بهذا التعليل والتخريج المنطقيين العلماء المحدثين ، بنحو سبعة قرون .

وفي ذلك ، بل في حياة ابن عربي كلها ، نجد الدليل القاطع على أن العلم والايمان توأمان ، ينموان في احشاء المعرفة ، من أية طريق أتت ، وبأي سبيل تحققت .

وحري بالعالم المؤمن — مسيحيا كان او اسلاميا — ان يحيي ذكر هذا الفيلسوف الامام العارف بالله جزاء جهده وجهاده في سبيل الحق . وان يقيم له في العام القادم ١٩٦٥ ، في دمشق بالذات ، وعلى مقربة من مقامه فيها ، مهرجانا يليق به . وذلك لمناسبة انقضاء ثماني مئة سنة على مولده . وبذلك نحيي في النفوس ذكر قطب من اقطاب الفكر والمعرفة ، وامام من أئمة الفلسفة ، ومشعل وضاء من نور الله على الارض .

بيروت : رشاد دارغوث

* * *

القارة الرائعـــة

شعر : الياس الفاضل

اية قارة عجيبة
ارى في عينيك الصغيرتين الحادتين
أيتها الاميرة الثلجية اللون
أنت يا شذى الغابات الآسيوية البعيدة
ويا عبير الشواطيء الصخرية المهجورة

* * *

ومع صوتك الاكثر عذوبة
من البحر والمرافيء الصغيرة
ترتمي امامي ارض وسماوات بنجوم وقمر جديد
وقصور من العصور الغابرة
تفوح منها رائحة الخمر والطقوس الوثنية
وتعرش على شبابيكها الوردية
سهام وقبعات الفرسان
اولئك العشاق المجانين والمحاربين الشجعان

* * *

على ضفاف عمرك الحزين
أيتها البحيرة الغارقة في البهاء
يطيب لي ان استلقي تحت اشعة الشمس الساطعة
اراقب امواجك المتقلبة
وعبث طيورك البيض اللاهية

* * *

آه ... ليت لي زورقا صغيرا
تداعبه امواجك المتقلبة
أيتها البحيرة الغارقة في البهاء
أنت ياشذى الغابات الآسيوية البعيدة
ويا عبير الشواطيء الصخرية المهجورة

الغروب والشاطىء

شعر : سعيد قندقجي

الموج مضطرب الخطا والشمس في كف الغروب
وانا وحيد نهب اعماقي على صخب الدروب ...
تجتاحني الاوهام والاحلام في صمت عجيب
وتطوف بي صور الحياة من البعيد الى القريب
ومواكب الاشباح تلهث نحو شاطئها الرهيب
وهناك تنفجر السماء هناك معترك اللهيب
وعلى رحاب الافق ينسفح اللظى جم الشحوب
والليل من خلف الوجود يطل بالوجه الغضوب
جيشان من نور ومن ظلم على الافق الرحيب
والبحر مرآة الصراع يظل محتدم الوجيب
تتدافع الامواج من ذعر وتمعن في الهروب
فيصدها الصخر العتى بلومه القاسي الجديب
فتعود اشلاء الدموع وكم تقاسي من كروب
قدر عليها ان تذوق الهول في نهم الحروب
وذبائح الليل البهيم تطل في الموج الخضيب
هي ذي أماني الليل تنشر في انتصارات المغيب
وانا انا يا بحر مثلك رهن عادية الخطوب
لي الف امنية تموت بعمري الخلق الرتيب
ويجيش في نفسي الضياء وارتمي بيد الذنوب
انا قصة الانسان يمضي للغد الآتي المريب
لا مرفأ يأوى اليه ولا جناح للوثوب
لعبت به الاقدار لاهية كغانية لعوب
ومضت بدفته رياح الدهر عاتية الهبوب
أين المصير وحيرة صلبت على وجه الغريب

سعيد قندقجي

اريدك معي

«اريدك معي» محادثة روائية باسلوب جديد، تسرد فصولها وحوادثها بطريقة حوار يـــدور بواسطة رسائل متبادلة بين شخصين ، لكل منهما اسلوبه ورأيه في المشكلات المطروحة .
وقد نشرنا في العدد الماضي من الثقافـــة ، الحلقة ـ الرسالة الاولى مع الرد عليها ، وننشر فيما يلي الحلقة ـ الرسالة الثانية ، على ان ننشر الرسالة ـ الرد في العدد المقبل .

ماذا حولـــي ... ؟ ما ارى ... ؟ من انت ... ؟ من هو ...؟

عاد الصغيران الى البيت ... اعادهمـــا ... لماذا اعادهما ... ؟ لماذا انتظر رحيلي ليعيدهما ... ماذا لو عاد وانا هناك ... ؟ أي انسان هو ... اية مجرمه انا لاعامل هكذا ... ؟

صغيراي في البيت... ابنتي ... ابني ... ابنتي أين تعيش ... وكيف ... ؟ ابنتي التي اغرقتها حبا وحنانـــا انتقاما لطفولتي المعذبة ... وحرماني الطويل ... لا لم ادعها تعرف الحرمان العاطفي الذي عشته ...

ابنتي اوقفتها امام البيان قبل ان تصل يدها اليه... ذلك البيان الذي تمنيت مسه طفلة ... واعطيتها الكتاب الذي اضناني البحث عنه وانا صغيرة واسمعتها الحانا اهة عمري لماذا لم ارب عليها ...

ابنتي التي لن ادعها تنام وحيدة في السرير لاني لااريد اعادة المأساة ... مأساة حرماني حضن امي وانا طفلة تحبو ... ابعدتني سامحها الله الى سريري لتحتله اختي الصغرى واخي الوحيد واختي الثانية والرابعة ... لم انم مرة في حضن امي ولم ابك على صدرها كالصغار لاني انا الابنة الكبرى وعلي ان امثل دورها وعمري لم يبلغ السابعة ... لذا جعلت من زندي وساداً لابني ، لابنتي ... ابنتي التي كنت ارى فيها نفسي تنمو بالشكل الذي احب واتمنى ... ساحقق فيها كل احلامي واجعل منها اية ابداعي ... استمعت اليها وناقشتها وسافرت معها ورافقتها في خلواتها الطفلة. انها انا الصغرى ... انا الموهوبة ... انا المبدعة ... ابنتي ... لن تهرعي الي بعد اليوم ... لن تدخلي غرفتي وترتمي في احضاني ... لن تجدي من يشركك احلامك السحرية ... من يسمع معك الى تغريد طير بعيد وتدحرج ورقة زاوية ونـــداء مبهم تدمدم به الريح ووشوشة ناعمة تودعها او موجة في الشاطيء ... فيخلق من هذا كله قصة رائعة: الورقة فيها تحس والطير يئن والريح تناجي من تحب والموجة تحدث الشط وتصغي اليه ... ابنتي! اغلقوا بابي في وجهك بل انا اغلقته ولن يفتح ثانية ... لن تركعي امام صورتي الكبيرة في الصالة وتصلي طويلا وتعتذري عن ذنب لم تقترفيه... ولن تقسمي أنك ستكونين أفضل ابنة من اجلي ... لا لن تركعي امام صورتي لانك لم تجدي هناك صورة ...

ابني الحبيب ... رجلي الرائع ... رجل عمري ورفيق ايامي... لن تقف امامي وتصيح... مابك ياماما... ساقتل الذي يعذبك ... سأصبح ملكا واجعلك ملكة ... لن تقول بعد اليوم امام الجميع .. امي اجمل ام في الدنيا... لن تستيقظ وتجد الحلوى الك قربـــك ... فتسرع

وتقول ... عرفت ، انت وضعت هـذا ... لن تتشبث بعنقي قبل مغادرة البيت وتصيح ... وتصيح ... ابقي معي فاستمع اليك واترك الزيارة والموعد واصحبك الى السوق وابتاع لك المزيد من البنادق والخناجر ... واتصورك بطلا تقود المعارك وتنقذ البلاد ... لن تراني بعد اليوم ...

ابني الحبيب ... ابنتي الموهوبة ... من يعنى بهما ... انها الخادم ... من يحنو عليهما ... لا احد ... لكن لا ... كان يجب ان افكر بهما قبل ان ارحل ... طفلاي اني اريدهما ... اني امهما ... في بطني هـذا عاشا وعلى زندي هذا ناما وفي حضني هـذا درجا ... انهمـا طفلاي ... طفلاي في البيت ... من يحملهما الى السوق ... من يستقبل رفاقهما بلهفة ... ؟ من يلعب معهما ... ؟ طفلاي الحبيبان ... اني امكما ... اني امهما اينمـا كنت وحيثما وجدت .. اني امهما ولم اخطيء ... لا لم اخطيء ... اخطأت الانثى في وليست الام ... انا الأنثى تركت بيتها وزوجها ومدينتها ... وتدنست وتعفرت وغرقت في الوحل ... اما انا الام فلا ازال انا انا لم اغير ولن اتغير ... اني ام وبحاجة لطفلي ... ام تريد اولادها وهذا من حقها ...

أي مجرم هو ... لماذا اعادهما الآن ... ؟ ماذا لو استمع الي وتركني راكعة تحت اقدامهما ... ماذا لو لبى نـدائي ... وحش قذر ... مجرم اناني ... انتقم ذلك الخنزير ... الا يكفيه ما انا فيه ... ما اعيشه من مرارة وحرمان ... الا ترضيه حياتي هنا بعيدة عنهما ... وحرماني الامومة والحنان والحب ...

طفلاي في دمشق وانا هنا ... لا ... لا ... أي لا ... انه الواقع ... انها الحقيقة ... واقعي انا وحقيقتي انا ... انهما هناك وانا هنا حبيسة غرفة تسمى دار ... ماذا اعمل ... ؟ اارطم رأسي في الحائط ... امزق نفسي ... امزقه هو الذي تدخل في حياتي ... امزق سعيد سبب كل ويلاتي ... لا ... لن امزق احدا ... لاني انا المجرمة لا هم ... رأسي هذا الذي يكاد ينفجر دبر مخطط هربي وجعلني التصق باحمد واراه مثال الرجل ... اه لم اره كذلك ولكني كنت بحاجة لمن اهرب معه ... بحاجة لتغيير حياتي ولم يكن غيره امامي ... اجل لم يكن غيره كنت انت وغيرك وغيرك بعيدين، تخالونني اعيش في قصر علي بابـا في حديقـة الزيز الزيزفون والزعفران ... اماهو فقدعرف كل شيء واستغل معرفته وبراءتي ... اني لست الومه فأي انسان في العـالم يتصرف كما تصرف ويوقف نفس موقفه ... انه يحبني واملأ دنياه منذ كنت طفلة ... وسبقني سعيد اليه ... صعق لما تزوجت وغامت الدنيا امامه واقسم ليستردني وعمل المستحيل ليدخل بيتي ويقترب مني ومن زوجي .. اجل عمل المستحيـل ليدخل بيتي بـل ليخرب بيتي ويقذفني الى العراء وكان له مايريد ... ياللاسف مجددا عرفت كل هذا ...

ما اشقاني به وبحياتي بين يديه ... انه لا يزال يحبني وعلى استعداد لمنحي كل ما اريد وما يستطيع .. ولكن ماذا اريد ... ؟ اريد المحال ... وهذا فوق قدرته انـي احمـل ازمتي معـي ... ذلـك الشهيـد الذي اضناني واهلكني البحث عن دمه .. عن قاتله ... شهيـد يصيح ، يريد الضحية ، الفـداء ... إن ذلك الشهيد في ضميري ... في قلبي ... في كياني ... انـه يعبدني ... ولكننا نختلف في نظرتنا للحيـاة للمفاهيم للمثل ...

وانا المسؤولة لاني لم اعرف هذا قبلا ... اعماني عويل روحي ... وانين حياتي ... فلم ار الاشياء كما هي لم اره هو ... رأيت انسانا اخر ...

افتقدت احمـد الانسان الذي عرفتـه هناك ... افتقدت احمد الذي بقي عدة سنوات يحيك نسيج هربي بمهارة ... اين احمد الفنان ... ؟ هاوي الموسيقى والادب ... اين من ينتقي الكلمة الدافئـة والهمسة الناعمة ... اين من ينتشي لدرجة السكر من اللفتة

الصغيرة والملاحظة الحلوة ... اين اين من يعبد الالوان والحان ...؟ اين من كان بيته مثال الفن والاناقة ... ؟ كل ماحولي يسخر مني ويردد ... بقي هناك ... بقي احمد ذلك الانسان هناك... بقي في دمشق لم يبرحها... واعيش هنا مع غيره ... مات احمد الذي عرفته ... مات وترك لي الدموع ارثيه ... مات واللحن ملء داره والجمال يهدهد روحه ... مات وتركني مع انسان عادي وعادي جدا ... وعلي ان اعيش مع هذا الرجل والتصق به ... لانه كل دنياي ... لقد تقلص العالم وانحصر في هذه الغرفة ويملكها هو ...

كنت في الماضي احلم باشياء واشياء ... حلمت بالمجد الأدبي طفلة ورعيت كلمتي وغرفت من الجمال بنهم وجنون ... ومات الحلم قبل ان يرى النور ... مات عندما التقيت بسعيد وافق الجميع على زواجي منه ولم استطع الاعتراض ... فسعيد رجل مهذب متعلم خلوق غني ... حاولت ان اتكلم ان اساءل فلم اجد فيه ، اية نقيصة واضحة • ولكني اقسم لك الآن اني منذ تلك الليلة قبل احدى عشر سنة شعرت بضبابة غلفت حياتي وبكرة كبيرة سدت حلقي... ليلة دخلت الغرفة والتقيت به ... انسان هادىء الصوت جدى القسمات يتكلم بمقدار ... عيناه جامدتان وراء نظارتيه... انفه المحدد يدل على شخصيتين متناقضتين... على انسانين يتنازعان حياته ... وثغر شبه مذموم على بسمة غريبة وشيء لم اتبينه ... اغوار عميقة حتى على صاحبها ... منذ تلك الليلة تمنيت الهرب منه ولجأت الى امي باكية مذعورة وصحت ...

ــ اماه اني خائفة ... لا اريد الزواج اريد ان اعمل وكنت قبل اسبوعين نلت شهادتي الجامعية ...

فضحكت وقالت ...

ــ ولماذا العمل ... لقد اغناك الله عنه ...

ــ ولكني خائفة لا اريد الزواج الآن ...

ــ كل فتاة تخاف الزواج وهذا طبيعي ...

ــ ماما ...

ــ كوني عاقلة ان سعيد افضل رجل في دمشق كلها ... ومستعد لكل شيء ...

ــ ولكن ...

ــ الجميع يحسدنك على هذا الزواج ... الله يتمم بالخير ... حظك في السماء

تنهدت وعدت الى غرفتي ولم اجد ما اقوله ...

وتمت المراسيم وكأن غيري التي يبتاعون لها المتاع وستتزوج وتسافر الى اوربا ... اما انا فكنت غارقة بالف حلم مفزع ملون ... غارقة في شرودي مرمية في متاهة كبيرة ... اعيش في ارض ما وطأتها قدم انسان واسمع كلمات مارتلتها شفاه ...

وذهبت اليه ووثقت به واحترمته ولكني بقيت غريبة عنه، دبقي هوغريبا عن دنياي... بل لم يعرف أن لي دنيا ... لم يسمعني كلمة دافئة اعوض بها دنياي المتعدة واحلامي الدفينة ... بل لم اعرف الدفء ... وضمني بيته تحفة فنية يعجب بها كل من يلقاها ويرى فيها تتمة لذلك الاطار الذي لم االفه ...

لن استمر بهذا الحديث ... انه لا يهمني ذلك البيت الذي طالما لن ادوس عتبته يوما ...

اني اعيش لحظتي الراهنة ... اعيش حاضري لا ماضٍ لي ولا مستقبل ... خطوط سوداء تلف الكون حولي ... ماذا هناك وراء القدر ... وراء هذه اللحظة... ضباب كثيف يكاد يبتلعني مع العالم ... عاودتني الرؤيا ... تلك الرؤيا المخيفة التي ظننت يوما انها تنبعث من جدران بيت سعيد وحياتي الجامدة هناك... ولكني الآن ادركت انها تنبعث من اعماقي من عمق كياني ...

لا تضحك مني ... بل اضحك كما يحلو لك وقل... كيف لي ان اؤمن بالرؤيا وانا المتعلمة التي تعيش في القرن العشرين ... اني احلم وانا في وضح النهار ... احلم اني اصعد اركض لاهثة على مرتفع عال جدا ... اركض واركض هاربة من شبح عملاق يلحق بي يكاد يخنقني ، واصل قمة الارتفاع ، وقبل ان استردانفاسي ارى ذلك العملاق خلفي ... ارتعد واحار ماذا اصنع والمرتفع يشرف على هوة سحيقة سحيقة مليئة ديدانا وافاعي وحيوانات لا استطيع وصفها لها عيون انسان جامدة وتتلوى على لهب مريع ... اريد الصياح ولكن صوتي ابح وتهتز الارض من خطوات ذلك العملاق وتهوي يده الكبيرة على ظهري بضربة مميتة فأتدرج في طريقي الى الهاوية ... التفت مذعورة حولي ... والصورة امامي ... كنت أرى بعيون تلك الافاعي والديدان عيون زوجي الزجاجية وارى في العملاق قدري اللعين ويد ذلك العملاق تحدد لي مصيري ... واعتقدت ان هذا الحلم وليد حياتي كدمية في ذلك القصر ... واهتف في اعماقي سأتحرر يوما من هذا الكابوس ... سأتحرر لا بد من تحرري ...

والآن بعد ان تحررت فعلا ... تحررت من الزوج والبيت والاطار الاجتماعي ، ماذا وجدت ... ؟ تحررت من قيد الآخرين لاعيش قيدي ... تحررت من قدرهم لاعيش القدر الذي رسمته بنفسي وحددت معالمه ... تحررت لاعيش القيد الحقيقي القيد الذي لا استطيع كسره ... وكيف اكسره وانا اتقيته ... ! كسرت قيدا شدني اليه الآخرون وحملتهم تبعة حياتي هناك اما هنا فانا المسؤولة ... اجل انا ... وادركت بوضوح ان القيد يغلف روحي ... قيدي ولد معي ، بل سبقني الى الوجود وعلي ان اعيش روحا اسيرة ، وقلبا حطيما ، وكيانا سبحانا لتلك الروح ...

عاد الحلم الرهيب ... عادت الرؤيا المسعورة ... اني اعيشها ... العيون... عيون الأفاعي والديدان يطل منها ندم قاتل ولهب آسن ... توحي لي بالثغيان ، بالدوار ، وتردد اغنية الكذب والنفاق ، اغنية الندم والاحتقار ويرتفع الصوت ويرتفع ويطغي على كل صوت ... مئات المرات يعاودني الحلم في اليوم واحمد في عمله ولا يعرف ذلك الشبح ولا يمكن له ان يعرفه... انه لا يأبه لهذه التفاهات ...

احمد ... احمد ... اني خائفة... خائفة منه... خائفة فقدانه ... اني لا استطيع الحياة بعيدة عنه ، انه دنياي ، عالمي ... وهو يعرف هذا ومع ذلك يهددني بالهرب ... انه الحلم الرهيب ... خلقه مجددا ... خوفي منه ... من فقدانه مايجعلني اعيش في الجحيم ... تصور انه يهددني كل يوم انه سيتركني ... كلا لم يهددني كل يوم ... لاكن صريحه، هددني مرة واحدة واعتذر عنها آلاف المرات ... قال لي :

ـ ماذا يرضيك ... ؟ لم اعد احتملك ... اتمنى الموت الهرب ... الا يكفيك اني تركت الدنيا من اجلك ... تركت الاهل والبلد والعيادة والعمل والاصحاب ... ماذا تريدني ان افعل ... ؟

لم اصدق ما اسمع ... انا توجه لي اهانة ... عشت عمري لم تصافح اذني كلمة بصوت مرتفع ... والان هو يصيح بي ... بكيت بكل دموعي ورفضت الطعام والشراب. عاد يعتذر وقبل الارض تحت اقدامي ... واعتذر ثانية وثالثة ... ومنذ تلك الساعة وانا اعيش فقدانه وهو يعتذر ويتمنى لو بتر لسانه على تلك الكلمة عبثا ... انه يعتذر واسمعه باذن قلبي يردد العبارة باستمرار ويرددها معه كل شيء حولي ... كل

شيء يردد ... سأتركك ... فاخاف وارتعد ... اذا غاب لحظة يملأ قلبي الف حلم مفزع ... اني اخاف ففده واعيش خوفي ... انظر الى نفسي واردد لا بد ان يتركني يوما ... ولا استطيع احتمال الصورة ... انه لن يستمر معي فنحن نختلف في كل شيء ... يحبني لدرجة العبادة ولكنه ليس ذلك الانسان الذي خلقت له ...

اننا نختلف من حيث الاصل ونعيش خلافنا الذي ابتدأ ساعة ضمتنا هذه الغرفة ... منذ تلك اللحظة عرفت مع أي انسان هربت أي انسان سلمت له قيادي ... سألني عن حلي ... فارتعدت واجبته

— لم احضرها معي ...

— ماذا ... ؟

— تركتها هناك ؟؟؟؟

ثارت ثائرته ولم يستمع الي ... لم اصدق ... حلي انا يريدها احمد ... محال كذب انا ما اسمعه احمد يريد حلي ... يريد تدبر وضعنا في ثمنها ربما كان له بعض العذر الذي لم افهمه ... حاولت ان اشرح له لماذا تركتها هناك فلم يستمع الي ...

فتحت الدرج في تلك الليلة واخرجت مجوهراتي منه ... وارتعشت من مسها ... انها مجوهراتي انا وحلي انا انها ملكي ... ولكن ما بي ارتعش ارتجف من مسها ... اخافها اخاف رؤيتها ... ما بي اشعر بها ناراً تلسعني ... انها حلي ، وتحمل تاريخي ، وعلي ان اصحبها معي ... لا ... لن اخذها ... ساتركها هنا مطمئنة في مكانها ... العقد الماسي هدية عرسي ... عرف ليلتي الاولى مع زوجي وعرف ما عانيت في تلك الليلة عرف القدر الاسود الذي رقبني هناك فاتحا شدقيه وضمني الى رتل الاشقياء ... ولم يفارقني منذ تلك الليلة ... استراح ذلك العقد على صدري ساعات طوال وفهم اشياء ، فهم ما اخفيته عن العالم اجمع ... عقدي انه ملكي انا ساصحبه معي ... وهنا برزت امامي صورة بشعة لم اتحمل بشاعتها وتساءلت لماذا اصحبه معي ... ستمتد يدي او يد احمد اليه ... وندفعه الى غريب يعرضه مع جملة معروضاته ويعده لعروس شابة ... لا ... لا ... محال ان ادفعه لذلك الغريب محال ان ادعه يسترح على صدر غير صدري وان اجعل الاعين تحدق به متسائلة ... لا لن ادعه يروي قصتي للاخرين وسواري الذي هدهد يدي ورافقني في زباراتي الرسمية وعرف تخبطي وثورتي المكبوتة على مجموعة من الدجالين حولي ... على طبقة لاتعرف غير الخداع ... الزوج يغش زوجه والاخت تكذب على لسان اخيها ... وعرف اشمئزازي من الذين بقوا غرباء عني رغم تمسحهم على اقدامي وفي اعتابي ... وكثيرا ما حدثته واستمعت اليه ... حدثته عن ذلك اللئيم يحاول ابتلاعي بنظراته اللزجة وعن تلك التي تحاول التقرب مني لتدخل بيتي وتنال من زوجي شيئا ... وكان يسخر معي منهما ، فانا نبيلة وزوجي لا يرى غيري في العالم ... وقرطي الطويل الذي يهتز بدلال على عنقي يوشوشني بكلمات وكلمات ، وعقدي اللؤلؤ هدية اهلي ... لقد تعاون الجميع لتدبر سعره وبقوا تحت وطأة الضيق المادي مدة من اجله ... عقدي فيه عمل اخي واختي وجهد ابي وتقتير امي ... انه قصة كاملة ... وهكذا كل قطعة تحمل تاريخا وذكرى ... هدية عيد زواجي الاول ... وهدية عيد ميلادي ... وهكذا كل قطعة تحمل تاريخا تعبق بالذكرى ... ذكرى تخصني انا وانا وحدي ... ومضت الساعات وانا احدق بتلك المجوهرات واستمع لهمسها ... صحوت على صوت زوجي فاعدتها الى مكانها بعد ان قبلتها بخشوع وصليت وصلبت

بكلمات ضارعة ان يصونها ... والتقطت دمعة كبيرة تدحرجت على وجهي ... لا لن اخذها ... لن ادفعها الى غريب لقاء حفنة من المال ... افضل الموت جوعا والعرى على ذلك ... والتفت حولي وسمعت وشوشة ناعمة ... كل قطعة اثاث تروي قصتها ...

الزهرية الصغيرة التي ابتعتها من روما عند ما كنت في شهر العسل دارت معي كل اوربا وشاركتني نشوتي عند عودتي من الابرا في فيينا وسماعي فرقتها السيمفونية تعزف (الباتيتيك لتشايكوفسكي) و (شهرزاد لكارساكوف) وشهدت مصرع روحي عندما قال سعيد انه اصيب بالصداع نتيجة الصخب الموسيقي وتأفف من السهرة وانها من اقبح لياليه ... بكيت بكل دموعي وتهدم ركن كبير من قلبي وحياتي في تلك اللحظة ... التفت فالفيت الجوكندا تنظر الي وتبتسم تلك البسمة الخالدة ... الجوكندا التي اقتنيتها في باريس ، واضعها فوق سريري والتي شهدت عربي الكامل الروحي والجسدي ... وعرفت دموعي التي زرفتها في تلك البلاد البعيدة وانا ارفل بثياب العرس... انها وحدها تعرف ما عانيت في تلك السفرة ... لانها تتأملني دائما ولا تتركني ... عرفت ازمتي نتيجة زواجي من تمثال جليدي لا يحس ولا يتحرك ؟؟ ... كوارث العالم لا تزعجه وما يهمه من العالم اذا كان الرقم الذي في رأسه يشير الى الارتفاع ... كلا ليست وحدها التي تعرف هذا ، نفرتتي التي اصطحبتها من مصر ومجموعة بتهوفن المطمئنة في الخزانة الفنية ... هي ايضا شاهدة عني ذلك .

لم استطع الاستمرار . كدت اجن . ارتميت على السرير نشج بصوت مسموع ... السرير الذي ضمني سنوات وسنوات سريري الذي شهد ثورة جسدي المكبوتة وناري المستعمرة ... سريري الذي شهد لياليا ارقي الطويلة ... والذي عشت فيه مع ليلي وظلامي اعنف حياة واقساها ... ما من امرأة في العالم عاشت كما عشت ... كنت طوال الليل اتقلب محمومة اردد كل كلمة قالها وتغمرني اشباح مريعة ... اه كم تمنيت في ذلك السرير العريض من احدثه ... ومن يحدثني بدفء وحنان ... من يمسح على شعري ذلك الشلال الثائر ... وزوجي في غرفته يغط بنوم عميق ويحلم بالارقام ووسيلة تضخمها... وطفلاي هادئان كملاكين... اف مالي ولهذه الذكريات التي تسود ان استرسلت بها مجلدات لا صفحات صغيرة ...

تسألني كيف انيني الى صراخ ... وانا اسأل لماذا اصرخ ... ؟ اشعر بحاجة لان املأ الدنيا عويلا اريد الصراخ في وجه القدر ، المصير ، الزمان ، المكان ... اريد ان اصرخ انا التي فقدت كل شيء... أنا الانسانة التي لاقدر ولا مصير ... لازمان ولا مكان... اريد الصراخ ... واحمد الذي انتقيته رفيق قدري دون رجال العالم لا يعرف ما اعاني ... احمد الذي ربطت مصيري بمصيره يخاصمني لاني لم أحمل حلي معي ... ويتهمني بأني اخفيها عنه ... ولم يستمع الي ولم يفهم موقفي منها وخوفي مسها ... الحلي كانت تحل مشكلاتنا المادية وتمنعنا من بيع سيارته ونحن بحاجة اليها لتدبر عيادة بسيطة ... اني مسؤولة في نظره ... لست مسؤولة عن وضعنا المادي فقط بل عن كل الوضع ...

نعم انا مسؤولة ... مسؤولة لاني اتبعته ... ولكني واقسم بشلال ابنتي بجدائلها الشهباء اني اتبعته بلا ارادة. كنت مسلوبة الارادة، مغموضة العين ، فاقدة

البصر والبصيرة اتبعته بلا ارادة بلا وعي ... كنت أسير كمن يسير في نومه ، واني اشك ان كنت صحوت الى الآن ... اني لا ازال تحت تأثير المخدر ... لا ازال اغط في النوم وليتني ابقى هكذا لاني اخاف صحوتي اخاف يقظتي عندها ربما لا استطيع احتمال واقعي ... وهكذا سرت معه بلا ارادة كأن عفريتا يدفعني كلما توقفت ... اني والله في تلك الليلة التي سبقت رحيلي اكثر من مرة كدت اترك المشرووع واسد بابي بوجه احمد ولكن ذلك العفريت الذي عشعش في اعماقي لم يدع لي أي مجال للتفكير، انه يدفعني اكثر فاكثر، وكلما توقفت سدد لي ضربة محكمة فاسرع كالمجنونه ... نعم يد عفريت مسحور كانت تدفعني ... يد عفريت يسكن جسدي، ويغلف روحي ولا يدعني اتنفس ... لا يدعني أرى او اسمع الا بعينه وباذنه ...

ارجوك ساعدني ... انت الذي عرفت مصرعي وفهمت وضعي ... ارجوك انا التي لم اعرف الرجاء عمري ... ارجوك انا التي ما لجأت الى ربي راجية مرة ... ارجوك ان ذلك العفريت يحاول دفعي مجددا... ولكن الآن لا يوجد هوة تبتلعني ولا افاعي تتلقفني... حتى الهوة ملتني والخطيئة عافتني ... فانا لم استطع ان اكون مخلصة لها ... رغم انغماسي بها ... اراها تتململ من صحبتي ... وماذا اعمل انا ؟ لقد وصلت الى قرارة الهاوية ... الهاوية التي لا هاوية بعدها ...

ارجوك دوار يلفني والمخاوف تملاء قلبي ... دوار عنيف عنيف يدفعي الى ارض لا انسانية ويغرقني بلهب لا اعرف مصدره ...

لا ، لا ... لن ادعه يتركني... ليكذب علي، وليفضح كذبه بنفسه ليغلف المذياع عن الموسيقى وليلعن بيتهوفن وتشايكوفسكي اللذين اعبدهما، وليقل عن موسيقاهما قرقعة تسبب الصداع وليشتم سارتر ولامارتين وليرى بكاميو وتولستوي دجالين يستحقان الاعدام وليحطم اصنامي التي عشت عمري اعبدها والتي اوهمني يوما انها اصنامه ... ليهدم معبدي الفني الذي بنيته بأدمع قلبي ، وبسمة عيني ، وكآبة روحي ... ليفعل ما يحلو له فلن احتج واثور ... ولن ادعه يتركني سأكون اكثر رقة ونعومة واخلاصا وحبا ... ليكن الجحيم الذي اعيش فيه سأحافظ عليه وارعاه وامد بذوب قلبي ساعطيه كل ما استطيع من حب وحنان سارعاه واصونه ... لا لن افرط به وليمدني الله بقوة غير ارضية لاستطيع ذلك ... لن اجعل حياتي خطيئة تؤدي الى خطيئة وجحيماً يجر الى جحيم ؟؟؟

حياتي أية اسطورة هي ... لقد توفيت بكياني الخاص لاعيش كيان الخطيئة والرذيلة ... لاستمر في الوجود كشيء حقير تافه ... حياتي ، أنت اكبر كذبة عرفتها الانسانية ... اني اعيش بلا هدف بلا غاية بلا امل ... بلا رؤيا ...

اعيش كلا انما اتحرك وسط دوامة كبيرة لا ادري اين تقذفني ... اين تطيح بي ... حياتي بين يدي طفل لن اراه يوما ، لا ، لن اراه يوما ذلك الطفل الحبيب ولن تضمه اعماقي بحنان ويرفرف حولق قلبي صاخبا ... لا لن اراه ذلك الطفل سيبقى رهين العدم ...

حياتي حبيسة ابداع ... ابداع لن اعرفه عمري... لا لن ابدع حرفا انا التي عشت عمري اعبد الحرف واركع في محرابه ... لا لن ابدع حرفا احبه ان ينطلق دافئا ثائرا عذبا ... لا لن يرى حرفي النور وسيبقى اسير روحي وادمعي ...

لن استمر غامت الاحرف امامي ... لم اعد ارى ، والظلام يحضن الكون بنعومة ودلال ويغيبان معا بعناق حار ...



الطفلة العجوز

شعر : مصطفى البدوي

مابالها الريح الجنوبية
تطحن في انيابها البروق والرعود
وتزرع السموم والحقود
تحمل في اردانها تنينها العجوز
مهشم الاباء والعيون
الجرح في جبينه ينز بالصديد
والنار في ضلوعه مسعورة الحريق
هل تعلم الرياح والبروق
بأن أرضا ثرة العطاء
تفتحت مسامها
واحتضنت سهولتها
مراشف الانداك
والصبوة المؤبدة
ترش درب الحب بالضياء
والشعر افق اخضر
الحانه نهود
ضجت حنينا وهوى
لشرفة الخلود

* * *

من جرّح القصيدة
وصب في حروفها الدمار
وخاط جفن العزة التليدة
بابر من نار
من رام سحق الدرة الفريدة
وقوقع النهار
من شق قبر العزة الشهيدة
ليعبر الغزاة
مابالهم قد هربوا ؟
مابالهم قد خلفوا ؟
عتادهم في ساحة تتوق للدماء
لو جسد الفخار
لا ترع الرمال قهقهات
تبصق في ظهورهم
تقيء في اصلابهم
ذلا مدى الحياة

* * *

الطفلة العجوز لن تموت
لانها تجسد الرغاب
ترقص كل ليلة عارية الاهاب
على ضفاف الانهر الحبيبة

تهدر للصباح
وتسكر البطاح
وتكسف الشموس
برفة الرموش
لو صحت الظنون ياحبيبي لمت من زمان
خلف الكوى المخضبة
بالتبغ والصديد
ولا ستراح النبع في العروق
وعشش الغراب
في الرئة المحببة
واورق الدموع
في جبهة القمر
وانغرست اظافر القرصان
على صخور الشاطيء الحبيب
وديست العيون
بأرجل شعورها
قد سقيت سموم
وانفرطت اغنية على شفاه حاصد بسيط
يقدس التراب
ويعشق البذور
واحترقت في الافق غيمتان
يا طالما قد اعطتنا الندى
للورد ، للشذى

* * *

لو صحّت الظنون يا حبيبي لا نقرض الزيتون
من غابة الزيتون
والسرج في افراحنا تغص بالغبار
وانتحر النهار
والنحل يجني الشوك والزيوان
والملكة المبرجة بجانب الخلية
وحيدة يعصرها القرف
ولن يعيش الدر في الصدف
ويكتب التاريخ من جديد
بمزق الحديد
لكن ظنون السادة العبيد
ماتت كما يموت الدود في الجليد

* * *

مصطفى البدوي

الركن الهادىء

همسة دافئة

رفضت كلمتي الحانية ... رفضت احرفي الصغيرة المرتاحة بزاوية الكتاب ، احرفي التي تشتاقك وتتمنى مداعبتك وتقبيل شعاع عينيك المتموج ...

احرفي تهرب مني وتلجأ اليك وتطمئن بين يديك ، لو ترى فرحتها الغامرة ، لو تستمع اليها تحدثني وتجعلني أنهار • انها فعلا واتمنى لو اتحول حرفا صغيرا يختبيء بزاوية كتاب ...

احرفي احملها نشوى اليك • انها جزء من قلبي وكل ما املك ... اتمنى ما املك ايها الحبيب • احرف عاشقة ألملم بها النجوم وانثرها لآليء بين يدي عابدي ... اغمسها بالشهب واطعمها ذوب روحي وامنية عمري • انسجها من ضحكات طفل لم يولد... وساقية شردت عن مجراها ووردة غافية في وسادة حبيسة • ولحن يضم الغروب الى صدره ...

رفضت احرفي تطرز ركن كتاب ... لعلك خفت ان تعرف بها حسناء غيري ، بامكانك ان تقول لها (كما قلت لي) انها لوحة قديمة من انسانة تعرف عيدي من ثلاثين عاما ... فاحرفي منسية من الزمن وآلته القاسية ودوارانها الرتيب •• او ان تقول لها هذا الكتاب لزميلي ، فليس هناك ما يشير ان الكلمة لك ... فانا لم ارد احراجك امام من تعرف ومن سوف تعرف فاهملت النداء ورسم الاسم مع انه محبب الي واثير...

بامكانك ان تقول لها كل هذا فتحدق بك المسكينة بعينين واسعتين وتهرب الكلمات من ثغرها وتقبل الدمعة الكبيرة خدها فتخفيها بصمت وبجهد تقول « انها حلوة » ...

اما ان ترفض حرفي الصغير ايها الغالي •• اما ان تخجل به وهو العابد المرهق° فحرام •••

حرام ان ترفضه وهو يصلي بين يديك ويدغدغ ضوءك ، ويهدهد مكتبك ، ويحنو على خيالك ويرقب عودتك •• يحرسك ويرعاك • يحوم حولك وانت تعمل ، ويختبىء تحت وسادك وانت تغفو ••

سامحك الله ايها الغالي •• وجعل حياتك كلمة حلوة ، وهمسة دافئة ، وامسية راعشة على الف جنح حالم ••

جهاد الحب

اذا قلت : ما بي يابثينة قاتلي
من الحب ، قالت : ثابت" ويزيد
وان قلت ، ردي بعض عقلي أعش° به
تولت ، وقالت : ذاك منك بعيد
وافنيت عمري بانتظاري وعدها
وابليت فيها الدهر وهو جديد
ويحسب النسوان ، من الجهل انني
اذا جئت أيا هن كنت اريد

يمـوت الهـوى مني اذا مـا لقيتهـــا
ويحيـــا ، اذا فـارقتهـــا فيعـود
يقولون : جاهــد يـا جميـل بغـزوة
واي جهـــاد ، غـيرهـن ، اريـــد
لكـل حـديث بينهـن بشـاشـة
وكـل قتيـل عندهـن شهيــد

جميل بثينة

كلمة حانية :

حياتي .. كلمة حلوة لم تعرف ضمير شاعر بعد...

حياتي .. قيثارة منسية في كوخ غجرية ..

حياتي .. حرف عابد ، وضوء شاحب ، وسفينة بلا مرساة ...

حياتي .. صلاة خاشعة في معبد يحرسه إله غير مرئي ...

حياتي .. نظرة حانية تلملم الدموع الخاشعـة ووردة عاشقة لم تقبلها شفاه حبيبة ..

حياتي .. وهم يشدو بكل درب وفكرة تغفو على شاطىء حب ..

حياتي .. لون لم يمسه هدب فرشاة ولم تبعثره يد فنان ...

حياتي .. اغنية ضائعة مع زقزقـة طير غريب .. ورحلة طويلة مع القدر المجهول ..

حياتي .. حب وضياع .. غربة وعطاء وحـدة وابداع

حياتي .. حرف صامت يضج ايـامي ويشركني قلقي وظلامي .. حرف احدثه ، اعبده ، اتأمله اعيش واياه على الف ، جنح طائر ، نجوب الدروب العاتمة ، ونقطف النجوم البعيدة، وتسرق خضرة السهل وشموخ الجبل . تعانق قناديل الدروب، وتحضن تمرد الموج ، ودلال القمر ..

هذه حياتي ومع ذلك يريدني كالآخرين

يريدني انثى ككل النساء .. يريدني رفيقة درب، نطوف معا على معرض الاصدقاء .. انه كالاخرين..

يرى بي انثى جميلة ، رفقتها متعة ، ومديحها اغنية ، وفكرها مفخرة ..

لا .. لا .. ليس هذا ما اريد ..

اريده شاعرا يلملم النجوم ويطير مع الغروب ..

اريده لحنا يملاء دنياي حنانا وابداعا ..

اريده يطوف بي العالم ، يحرق التبغ ، يسفح الخمر، يقبل الشمس، يعبد الجمال ويصلي للساقية .. ويعود بثوان الى قرب موقد مضطرم ، يحترق بـه ويحرقني ..

اريده .. يطير على جنح اغنية عذبة يهدهد المحال ونسرق الياسمين ونغفو في قلب نجمة ، توشوشنـا الفراشة وتنادينا السوسنه الصغيرة وتحملنا النسمـة الخجلى بعيدا بعيدا ..

ليتني فنانة .. لجعلت حبي الحانا تخلد على مر الزمان ..

ليتني املك ريشة صغيرة لحولت حبي بها لوحة خالدة تعبق بالف لون ساحر ..

ليتني املك قلما ذهبيا لمنحته حبي وجعلته انشودة يرتلها الجيل بعد الجيل ..

لكني انسانة صغيرة .. تملك نظرة دافئة ، وكلمة حانية تملاء بها دنياها ...

(انسانة)

في منطقة السهوب

قصة للكاتب الروسي مكسيم غوركي
نقلتها الى العربية مها قوجه

تركنا بيركوب ونحـن في أسوأ حال : جياعـا كالذئاب ، وناقمين على العالم كله ، بعد ان عملنا اكثر من اثنتي عشرة ساعة ، باذلين كل الجهود ومسخرين كل مواهبنا لنكسب شيئا ، او نسرق شيئا ، ولكن بدون جدوى • واخيرا ، وبعد ان تأكد لنا فشل كل طريقة ، عزمنا على المسير • ولكن الى اين ؟ ؟ ؟ الـى حيث تقودنا اقدامنا •

سرنا بعد ان عقدنا العزم على ان نسلك في الحياة السبيل نفسه الذي طالما اتبعناه ، وهذا ماكان واضحا من امارات الجوع البادية في عيوننا •

كنا ثلاثة قد تعارفنا منذ فترة قصيرة • كان احدنا فيما مضى جنديا ، ثم عمل رئيس ورشة في احـدى السكك الحـديدية في منطقـة فستـولا ذا شعـر أحمر وعضلات بـارزة ، وعينين باردتين جـامدتين ، يتـكلم الالمانيـة ، ويعـرف الكثـير عـن حيـاة السجون •

وبما ان امثالنا لا يميلون كثيرا الى التحدث عن ماضيهم ، لذا فقد صدق كل منا الآخر ، أو كاد ، لان الواحد منا لا يؤمن بنفسه ، فكيف بالآخرين ؟؟ ومع ذلك فقد لزمنا الصمت •

كان الرفيق الثاني قصيرا نحيفا ، ذا شفتين رقيقتين ، مطبقتين في اكثر الاحيان ، وقال انه كان طالبا في جامعة موسكو • وقبلت والزميل الجندي هذا القول كحقيقة ، وفي الواقع كان سواء لدينا أكان رفيقنا فيما مضى طالبا أم بوليسا سريا ، أم لصا ، فالشيء الوحيد المهم ، انه سيكون مثلنا ، جائعا مشردا ، يسترعي انتباه الشرطة في المدينة او الريف ، ويحقـد عليهم حقـد الوحش الضعيف الجائع الملاحق ، ويحلم بالثأر الشامل من كل شيء في العالم • وباختصار ، يجب ان يكون ثمـرة الشجرة نفسها التي نحن من ثمارها •

وكنت الثالث ، ومن باب التواضع الذي احتفظ به منذ السنين الاولى لحياتي ، لن اذكر حسناتي ، وكي لا ابدو شريرا فلن أعدد سيئاتي • ومع ذلك أريد أن اقول ، انني اعتبرت نفسي دائما افضل من الآخـرين وبقيت كذلك •

وهكذا غادرنا بيركوب ، وتابعنا السير معتمدين في اليوم الاول على الرعاة الذين نادرا ما يرفضون اطعام الغرباء •

مشيت والجندي في المقدمة ، وتبعنا الطالب صامتا ، ملقيا على كتفيه دثارا كالمعطف ، واضعا على رأسه الصغير قبعة كبيرة ، بينما ستر ساقيه ببنطال ضيق ،

كان مليئا بالرقع المتعددة الالوان ، وانتعل حذاء قديما وجده في الطريق كان يسميه (صندلا) .

كان الجندي يرتدي قيصا احمر اللون ، قال انه اشتراه من كد يمينه في مدينة كيرسون . وكان يلبس فوقه معطفا سميكا ، ويضع على رأسه قبعة عسكرية قديمة لا يمكن تحديد لونها ، حرفها فوق حاجبه الايمن تبعا للتقليد العسكري ، ويلبس بنطالا عريضا ، ويسير حافي القدمين .

وكنت حافي القدمين أيضا ...

تابعنا السير في الطريق الاغبر ، الذي كان يلسع اقدامنا ، والذي امتد كالشريط في ارض قاحلة واسعة بدت كحصن أسود كبير تحت قبة السماء الزرقاء في الصيف القائظ ، وفي بعض الاحيان كنا نعبرقطعاصغيرة حصد منها القمح حديثا ، وبقيت العيدان الصفراء ، فكانت تشبه إلى حد بعيد لحية زميلنا الجندي التي لم تحلق منذ فترة طويلة .

مضى الجندي في الطريق يردد بصوت أجش : « نسبح قيامتك المقدسة » . فقد كانت هذه عادته كلما عز علينا ان نجد موضوعا نتحدث عنه .

وفي الافق البعيد رأينا شريطا طويلا يضم أشكالا متعددة جميلة .

قطع زميلنا الطالب الصمت وقال : « لا شك أن هذه تلال شبه جزيرة القرم » .

وصرخ الجندي باستنكار واستفهام : « تلال ؟؟؟ ستراها قريبا ياصديقي ، انها سحب ، ولا شيء سوى السحب . انظر اليها ، انها بيضاء كاللبن » .

وتصورت كم يكون جميلا لو صنعت الغيوم فعلا من اللبن ، غير ان هذه الفكرة ضاعفت شعورنابالجوع الذي لازمنا طوال تلك الايام .

بصق الجندي وقال : « ياللشيطان ، ليتنا نصادف انسانا واحدا ، حتما ، سننشب اظفارنا به كما يفعل الدب في ايام الشتاء الباردة ، ولكن ليس هناك أي انسان » .

قاطعه الطالب قائلا بلهجة تعليمية : « قلت لك اننا يجب ان نسير طويلا كي نصل الى مكان مأهول » .

أجاب الجندي بغضب : « اخبرتنا ... أنك انسان متعلم ، ولذا يجب ان تتحدث ، فأين الاماكن المأهولة ؟؟؟ ان الشيطان وحده يعرف ذلك » .

ضغط الطالب شفتيه الرقيقتين ، ولزم الصمت .

كانت الشمس تميل نحو الغروب ، مضفية على السحب الوانا تعجز الكلمات عن وصفها ، بينما ملأت الجو رائحة الارض والملح الذي اثار شهيتنا للاكل .

كنا نشعر بوخز شديد في معدنا ، وبأن كل عضلة في أجسامنا تفرز عصارة حيويتها التي لا تلبث أن تتبخر وتجف تدريجيا ، وشعرنا بجفاف شديد في أفواهنا ، وانتابنا دوار في رؤوسنا . كانت تظهر لاعيننا وتختفي طوال الطريق ، بقع سوداء يعطيها خيالنا أشكالا مختلفة تتراوح بين قطع اللحم والخبز وصور من الماضي . وفوق ذلك كله فقد كانت كالخنجر الحاد الذي يعمل في معدنا .

وعلى كل حال فقد تابعنا المسير ، يصف كل واحد منا ما يحس به ، وينظر باهتمام الى كل صوب أملا برؤية قطيع من الغنم ، ويصيخ سمعه عساه يسمع صوت عجلات عربة تحمل الفواكه الى سوق الامريكيين . غير أن الارض الجرداء كانت خالية يخيم عليها الصمت .

وعندما حل مساء ذلك اليوم القاسي ، كان كل واحد منا قد أكل ثلاثة ارطال من الخبز الخيالي وقطع ما يزيد عن اربعين كيلو مترا .

استلقينا على الارض ، وحاولنا الاستسلام للنوم

الذي كان الجوع يحول دونه • وكان رفيقنا الطالب قد اقترح ان نقصر ساعات الليل بعمل ما • وبما انه ليس من المناسب التدخل في حياة الآخرين الخاصة في المجتمعات البسيطة ، فقد لزمنا الصمت • وفي الواقع كنت ارغب في ان اكون صادقا • كنت اعرف ان قلوب الطبقة المتعلمة تكتسب رقة ونعومة ، وحتى عندما يريدون خنق انسان فان جريستهم هذه تتم بلطف ، مع ملاحظة جميع الظروف الملائمة لذلك • وانني استطيع ان أؤكد ان كل شيء في العالم يتطور ويتحسن ، واكبر دليل على ذلك ، الازدياد الغريب في اعداد السجون والمقاهي في العالم على مر السنين •

وهكذا ، وبينما كنا نحاول مقاومة الجوع ، ونسيان المه الذي ـ يقطع معدنا ـ بتبادل الاحاديث ، تابعنا المسير في الاراضي الضائعة ، الصامتة تحت شعاع شمس الغروب الصفراء ، يراودنا بعض امل برؤية أي شيء •

كانت الشمس امامنا مغطاة بالغيوم الغنية بالالوان ، بينما بدأت الزرقة القاتمة تغطي الارض السوداء خلفنا وعلى الجانبين ، وترتفع الى السماء فيضيق خط الافق أمامنا •

التقط زميلنا الجندي قطعة خشبية وقال : « هيا يا اخواني نجمع اشياء نحرقها ، اذ علينا ان نمضي الليل في هذه الارض الجرداء حيث الندى الكثيف • اجمعوا كل شيء تصادفونه » •

تفرقنا وبدأنا نجمع كل ما نراه على جانبي الطريق • وكلما انحنى احدنا الى الارض سيطرت عليه رغبة جامحة في أن يستلقي على الارض بدون حراك ، وان يأكل حتى التخمة من هذه الارض السوداء ، ثم يغرق بنوم عميق ، نوم ابدي ، على أن يأكل اولا ، ان يمضغ شيئا ما ، وان يشعر بدفء الطعام يزحف رويدا من فمه الى المري ، الى المعدة التي تلهبها الرغبة بهضم أي شيء •

تنهد الجندي وقال : « آه لو نعثر على أي نوع من الجذور ، فهناك ما يؤكل منها » •

غير ان هذا كان مستحيلا في الارض المحروثة السوداء •

اقبل الليل مسرعا ، ولم يكد آخر شعاع لشمس الغروب يختفي حتى بدأت النجوم تنشر شعاعها الخافت في السماء القاتمة الزرقة ، بينما تلاصقت اشباح الظلام وضيقت مساحة الارض حولنا •

اقترب منا رفيقنا الطالب وهمس : « اخوتي ، يستلقي رجل هناك الى يسارنا » •

قاطعه الجندي مستفهما : « رجل ؟؟؟ ولماذا يستلقي هناك ؟؟ » •

تابع الطالب : « اذهب واسأله رغيفا ، لاشك بانه يحمل مؤونة في هذا المكان البعيد » •

نظر الجندي بالاتجاه الذي اشار اليه الطالب وقال بعزم : « لنذهب اليه » •

مشينا باتجاه الرجل بخطى خفيفة في الارض المحروثة وقد اثار الامل الوليد بوجود بعض الطعام شهيتنا ، واقتربنا من الكومة السوداء غير انها لم تتحرك •

عبر الجندي عن خيبة الامل بقوله : « حتما انه ليس رجلا » •

غير ان الكومة تحركت ورأينا رجلا يركع على ركبتيه ويمد ذراعه نحونا ويصرخ بصوت مرتجف ردد صداه الهواء الجاف قائلا : « لا تقتربوا مني ، والا سأطلق النار » •

توقفنا صامتين مصعوقين بلقائه الجاف ممتثلين للامر وتمتم الجندي قائلا : « ياللشرير ••• » •

واتبعه الطالب : « انه يحمل مسدسا ، لاشك أنه سمكة سمينة ، وانه مصمم على تنفيذ خطة ما ••• » •

بقي الرجل صامتا شاهرا المسدس •

ناداه الجندي قائلا : « يارجل ... اننا لن نمسك بسوء ، اعطنا بعض الخبز من اجل المسيح » . وتابع بصوت خافت : « عليك اللعنة ايها الشرير » . ثم قال بلطف وقد رسم على وجهه ابتسامة ضاعت في الظلام « لا تخف منا ايها الرجل ، انناناس مسالمون، مسافرون من روسيا الى كوبا طلبا للنقود ، اتينا على كل ماحملناه من طعام ، وهذا هو اليوم الثاني الذي لم نذق فيه أي شيء » .

لوّح الرجل المحسن بيده في الهواء ، ورأينا شيئاً أسود يسقط في خطوط الفلاحة ، أسرع اليه الطالب والتقطه . وكانت الهدية الغريبة قطعا من الخبز اليابس مغطاة بالتراب ، قسمها الجندي بدقـة ، واعطى كل واحد منا نصيبه .

بدأت امضغ الخبز ببط وصعوبة ، محاولا السيطرة على حركة اسناني التي كانت مستعدة لقضم الاحجار ، شاعرا بلذة ورضى ولقم الخبز تنزل الى معدتي ، وكأنها تتحول رأسا الى دم يذهب الى دماغي .

غير ان اللقمة الاخيرة من الخبز اشعرتني انني لا أزال بحاجة الى الطعام .

اقترب الجندي مني وهمس : « عليه اللعنة ... لا شك أن لديه بعض اللحم » . بينما راح يربت بكفيه على معدته الخاوية » .

وقال الطالب : « ان لم يكن من اجل الاكل ، فمن اجل ذلك المسدس » .

جلسنا متلاصقين نسترق النظر الى الرجل الذي احسن الينا يجلس والمسدس بيده . ورغبة واحـدة تتملكنا جميعا ، الاكل ..

جمع الليل ظلامه حولنا ، واطبق صمت المـوت على السهوب ، ولم اكن في تلك الليلة احسن من زميلي فقد اقترحت ان نذهب الى الرجل ، ولا حاجة بنا لان تؤذيه ولكننا نستطيع أن نأكل كل ما يملكه ، وقـد يطلق النار ويصيب ، ولكنه لن يصيب الا واحدا منا .

اسرعت والجندي في المقدمة ، وسار خلفنا الطالب وفجأة صرخ الجندي : « يارفاق » . والتمع أمامنا ضوء وسمعنا صوت طلق ناري ، وصاح الجندي بسرور : « لقد أخطأ .. » وبقفزة واحدة وصل الى الرجـل وامسك به قائلا : « سوف اردها اليك ايها الشرير.. » ورفع رجله يهـم أن يركله ، غـير انه توقف قائـلا باستغراب : « ماهذا بحق الشيطان ؟ هل اطلق النار على نفسه ؟؟ » ووجه كلامه للرجل قائلا : « انت ، انت ، ايه هل اطلقت النار على نفسك ؟ » .

وعلا صوت الطالب قائلا : « لقد وجدت اللحـم والكعك والخبز الجيد ايها الرفاق » .

عندها قـال الجندي للرجـل : « اذن ليحملك الشيطان . وتستطيع أن ترسل لنا شبحك ، هيا للاكل أيها الاولاد .. » .

اخذت المسدس من يد الرجل الذي كان يلهث وفيه طلقة واحدة ، وبدأنا نأكل بصمت دون ان نعير الرجل الملقى دون حراك أي انتباه .

وفجأة قطع الصمت صوت خشن ضعيف قائلا : « هل كان هذا من اجل الخبز يا اخواني الاعزاء ؟ » .

وفوجئنا جميعا ، وابتلع الجندي ما يمضغه وتمتم : (لتنفجر كالحوض الجاف ايها الكلب ، هل كنت تظن أننا سنسلخ جلدك ؟ وماذا سينفعنا ذلك ايها السخيف، شيء جميل ، تحمل السلاح ، وتطلق النار على الناس ؟ عليك اللعنة) .

واردف الطالب قائلا : (انتظـر ، فاننا سنسوي الامر معك حالما ننتهي من الاكل) .

قطع صمت الليل مرة ثانية صوت حشرجة مخيفة ، واخذ الرجل يهذي بكلمات متقطعـة : « لقـد قتلت

نفسي يا اخوتي لأني كنت خائفا ، انني نجار هارب من (نيواثوس) الى حكومة (سمولنيسك) يا الهي ٠٠ لقد انتابتني الحمى منذ الغروب ، ومن سوء حظي اني تركت نيواثوس ولي فيها زوجة وابنتان صغيرتان لم ارهما يا اخوتي ٠٠ كلوا كلوا كل شيء ٠٠ واطلق صرخات غريبة نادمة وقال : « يا الهي ٠٠ ليتني عرفت انكم اناس مسالمون ، اذن لماذا قتلت نفسي ، أنها الارض الجرداء يا اخوتي ، انه الليل ٠٠ سامحوني »٠

التفت اليه الجندي وقال : « اخرس ايها الشرير ٠٠ » وقال الطالب : « لاشك بان لديه بعض المال » نظر اليه الجندي وعلى شفتيه شبه ابتسامة ، وغمز بعينه قائلا : « لقد حزرت ، دعنا نشعل النار ونستسلم للنوم » ٠

وهو ؟ ؟ ؟

« ليذهب الى جهنم ٠٠ اننا لا نستطيع ان نطبخه » ٠

اشعلنا النار وجلسنا بقربها ، وبدأ النعاس في اجفاننا حين نادى النجار بصوت يشبه الهمس : « اخواني ، هل يمكنني الاقتراب من النار ؟ انني اشعر بالموت يقترب مني ، ياالهي ٠٠ انني لن اعود الى البيت مرة ثانية » ٠

تحرك النجار نحو النار ببط ، كان نحيفا ، طويلا ، يترنح تحت وطأة الموت وقد علت وجهه صفرة غريبة ، مما أثار فينا الاشمئزاز وبعض الشفقة ٠

التفت اليه الجندي وقال بلهجة جافة : « لِمَ اتيت ماشيا وانت مريض ايها البخيل ؟ » ٠

أجاب الرجل بصوت خنقته حشرجة الموت : « نصحوني بان اذهب عبر تلال القرم والآن لا استطيع المشي ، انني أموت يا اخوتي ، انني سأموت وحيداً في الارض الضائعة ، ولن يعلم احد بموتي ، ستأكلني الطيور ، يا الهي ٠٠٠ يا الهي ٠٠ » قالها النجار بزفرات اشبه بزفرات الذئب الجريح ٠

قفز الجندي بغضب وقال : « لم هذا العويل بحق الشيطان ؟؟؟ لماذا لا تترك الناس يعيشون بسلام ؟ لعلك تحتضر ؟ فليكن ، مت ، ولكن حافظ على الهدوء ٠ من يفتقدك ؟؟ كف عن هذا العويل ٠ هل سمعت ؟ هل تعتقد اننا سنهتم بك لانك القيت الينا قطع الخبز اليابس واتبعتها برصاصة ؟؟ انك شيطان ٠٠ شيطان » ٠

وصمت الجندي واستلقى على الارض واضعا يديه تحت رأسه ينظر الى السماء ، واستلقيت ايضا ، واقترب النجار الخائف من النار ، واستلقى ينظر اليها بصمت والطالب الى يساره ٠

وبعد دقائق قال الجندي : « ما هذه الليلة وهذا العدد الكبير من النجوم ؟؟ انها قطعة مطرزة وليست سماء ، انني احب حياة التجوال يا صديقي ، ان فيها البرد والجوع ، ولكن فيها الحرية ، انك سيد نفسك في هذه الحياة ، وليس هناك من يأمرك ، لقد كدت اموت جوعا هذه الايام وشبعت الآن وها انذا مستلق على الارض انظر الى السماء ، النجوم تتألق امام عيني وكأنها تقول لي : « لاتبال يالاكوتين تابع تجوالك في هذا العالم ولا تستسلم لاحد » ٠ وانت كيف انت ايها النجار ؟؟ لاضير ان اكلنا خبزك ، انت لديك الخبز ونحن لا نملك شيئا ، وطبيعي ان نأكله ٠ ان اطلاقك النار علينا عمل وحشي ، الا تعرف ان الرصاصة تؤذي الانسان ؟؟ انني ناقم عليك الآن ، وان لم تمت فانني سأسحقك يا اخي لوقاحتك ، وبالنسبة للخبز تستطيع ان تشتري حاجتك في بيركوب ، ولديك المال ٠ هل

اتنابتك الحُمى منذ وقت طويل ؟؟

وبقي صوت الجندي الخشن ، وعويل النجار الجريح يرنان في اذني وقتا طويلا قبل ان يستولي علي النوم ... ــ وسمعت صوتا يقول : « انهض بسرعة ، انهض ، » . فتحت عيني خائفا وقفزت بسرعةوساعدني الجندي على الوقوف وعلامات الجد والخوف على وجهه ، نظرت حولي ، كانت الشمس مشرقة وقد القت شعاعا على وجه النجار الرمادي . كان فمه مفتوحا ، وعيناه جاحظتين ، وعليهما علامات الرعب ، ثيابه ممزقة عند صدره، وقد اختفى رفيقنا الطالب...

شد الجندي ذراعي وسحبني بعيدا وقال :«حسنا الم ترى بعد ، تعال معي » .

« هل هو ميت ؟؟ »

« طبعا ميت ، ولو خنقت انت ايضا فانكستموت»

صحت مصعوقا : « هل هو ؟؟ هل الطالب ؟؟ »

اجاب الجندي بحنق : « ومن اذن ، انت ؟ انا ؟؟ انه المتعلم ، لقد انهى حياة النجار بذكاء وتركه مع رفيقيه في هذا العالم الغامض ، ليتني عرفت ذلك ، اذن لقتلت ذلك المتعلم امس ، وأرحت العالم من شرير . هيا علينا ان نختفي عن اعين الناس في هذه الارض الضائعة ، انهم سيكتشفون ان النجار مات خنقاوسرق، وحتما سيفتشون عن امثالنا وتبدأ الاسئلة ، من اين اتيت ؟؟ واين امضيت الليل ؟؟ واذا ما القوا القبض علينا فان مسدسه معي، وهذا اثبت دليل » .

قلت : « القه بعيدا . »

« لن ألقيه ، انه يساوي اربعة روبلات ، ثم انه يحوي رصاصة ، علي اللعنة .. لماذا لم أفرغ هذه الرصاصة في اذن رفيقنا الطالب المتعلم ؟؟ عليه اللعنة ، ترى كم حمل معه من النقود .. ؟؟ هيا نبتعد يا اخي، ولكن أي طريق نسلك ..؟ »

« لا ادري .. كلها واحدة »

« وانا لا اعرف ايضا ، كل ما اعرف ان الطرق كلها واحدة بالنسبة لي ، لنتجه الى اليمين ، ويجب ان يكون البحر هناك . »

ومشينا باتجاه اليمين .

التفت الى الخلف ، ورأيت بعيدا، بعيدا في الارض المقفرة كومة سوداء والشمس تشع فوقها .

التفت الي الجندي وقال بصوت حزين : « هل تنتظر ان ينهض ، لا تخف ، انه لن يتبعنا ، ان الطالب ذكي ، لقد أنهى الامر بطريقة دقيقة ، يا للمسكين .. لقد احسن الينا ، وا اسفاه يا صديقي ان الناس يسيرون من سيء الى اسوأ عبر السنين . » واشعل لفافة من التبغ وقال : « انني استطيع التهام كل شيء يا صديقي ، ماذا نأكل اليوم ، واين ؟ وكيف ؟ انها مشكلة . »

وانهى جاري المريض في المستشفى قصته قائلا : « هذا كل شيء ، اصبحت والجندي صديقين حميمين ، ومضينا معا الى مقاطعة كارس ومنها الى آسياالوسطى، وهناك افترقنا ، كان طيبا وذا خبرة ، وصورة صادقة عن الحفاة . انني احترمه .

وسألت جاري بعد انهاء قصته : « هل تتذكر النجار ؟؟ »

قال : « كما ترى او كما سعت » .

وقلت : « الا يخالجك أي شعور ؟؟ »

ضحك محدثي وقال : « أي شعور يجب ان يخالجني يا صديقي ؟؟ انني لا ألام لما حدث ، كما أنك لا تلام لما حدث لي ، وليس هناك أي انسان يلام لاي شيء في العالم ، لاننا كلنا متشابهون ... وحوش في السهوب . »

اجمل ماقرات

انه زوجي :

مات ... مات الانسان الصديق والاخ الحبيب . مات والدمعة ملء العينين المشعتين وكلمة الحب على الثغر الملائكي ..

مات تاركا اعمق نزيف في قلب امه .. مات تاركا صبية مجللة بالسواد .. صبية غدت ساعاتها وايامها وحياتها سواد قاتماً ..

ماذا جمد الدمع بعيني مع جموده ...

انتهى ذلك الحبيب بين يدي واختي الى جانبي تحدق كالبلهاء ... ايمكن ان يختار الموت انسانها الوحيد.. ايمكن ان يختصه دون بقية الناس .. لماذا .. انه زوجها وصديقها ورفيقها وانسان عمرها.. لماذا هو دون غيره ..

جمدت كلماتها . وخمدت حركتها ، وتلاشى صوتها ، واختنقت دمعتها .. كل من حولها يندب الا هي .. مابها ؟ .. احقا ماترى ؟ كلا .. ان زوجها سيعود مع المساء كعادته .. انه يناديها ، يطلبها ليحضن واياها ظلمات الدروب ، ليذهب الى امها المريضة واختها الحبيبة .. انهما ترقبان زيارتهما بلهفة .. ماشأن من حولها ؟ .. لماذا يصيحون ويبكون .. لماذا يحتلون غرفتها ودارها .. ماذا .. ماذا .. ؟ باقات من الورد .. لماذا الورد .. لماذا الهدية .. انها لم تتلق هدية بحياتها .. تزوجت بلا هدية بلا فرح مع الآخرين .. استأثرت بالفرح لنفسها .. هدية لها .. لزوجها .. اهناك احتفال وبأية مناسبة .. ماشأن من حولها بها .. تريد ان تهدأ ان تعيش لوحدها .. ان تستعد لاستقبال الزوج الحبيب .. سيعود متعبا يحمل الحلوى والبسمة .. عما قليل يعم الظلام الدنيا ويعود الزوج الحبيب .. لماذا ؟ لماذا الشمس متشبثة بالسماء ؟.. لا تريد مغادرتها ؟ لماذا ؟.. ما بال الشمس تحملق بها بقسوة ؟ اين الظلام ؟ اين الليل .. لماذا يهبط بطيئا ، ونهضت مذعورة واطلت من النافذة المغلقة . السواد ملء الشوارع والدنياء وما تراه ليس شمسا انما نور المصباح .. صاحت اين زوجي .. لقد تأخر .. اريده ؟ . لا استطيع البقاء في البيت .. الظلام يتغلغل الى روحي.. ماذا ؟ ثوب أسود لماذا .. ما هذا الظلام..ما هذه الستائر السوداء.. لماذا ؟.. ان زوجي لا يحب اللون الاسود .. يمنعني من ارتدائه .. اين زوجي .. اني اريده .. اريده الآن لدينا موعد مع المدينة ، والشارع الطويل ، ودرج أمي العتيق .. اين هو .. لماذا تأخر ؟ .. خمس سنوات لم يتأخر فيها مرة واحدة .. خمس سنوات وهو يعود الي مع الظلام .. اين هو .. من منعه من العودة الي .. اين هو .. واشتد صياحها بل تمزقت حنجرتها وكل من حولها يبكي بحرقة .. صاحت .. ما بكم تحدقون اين زوجي .. أين ذهبتم به .. كان هنا ، هذه غرفته وثيابه .. هذا معطفه وقلمه .. هذا مقعده يعبق برائحته.. اريده.. اريده.. انه زوجي .. انه حبيبي.. انه من تمنيته عمري ، انه من عرفته قبل ان القاه .. وهو يحبني ولا يستطيع الحياة بعيدا عني .. لقد رفض كل عروض السفر خوف البعد عني .. بربكم أين هو .. أريد أن أمضي اليه .. اليكم عني اني لا

اعرفكم ، أريده هو ، انه بيتي ، انــه زوجي ، خمس سنوات لم اتركه فيها ، خمس سنوات لم اعرف فيها الحياة الا من خلاله •• بل ثلاثون عاما وانا اعيش بظل ظله •• عرفته قبل الحياة وكان لي معنى الوجود وانتظرته وكان لي وفق ما اردت وتمنيت •••

لم أعد أحتمل تمزقها، فغادرت الغرفة والنداء الابح « اريده » (انه زوجي) يرتج باعماقي ويرتج معــه الكون حولي •• وشردت بعيدا بعيدا •• مع انساني الراحل ، مع زوجي الحبيب •••

وتمتمت واللهب المستعر يغمرني : مات زوجي وهو قربي • رحل بلا كلمة وداع •• بلا دمعة •• رحل الى البعيد ••

رحل وتركني للضياع والغربة • تركني ورحل من دنياي •• رحــل دون ان ارتدي السواد او اصيح اريده •• رحل ولعنات الجميع تحيط بي ••

صياح اختي مقدس اما صياحي فيؤدي بي الى الجحيم ••

بكيت بجرأة أنا التي لا يحق لها البكاء وناديت غمر حياتي وافعمها عبيرا ولحنا ••

بكيت بجرأة انا التي لا يحق لها البكاء وناديب حبيبا انا التي لا يحق لي نداء الحبيب •

الموت •• لنستمر معــه ذلك العمــلاق الرهيب ولنستمع الى نزار يبكي اباه ويراه ملء البيت ••

أبــي (١)

أمات ابوك ؟
ضلال •• انا لا يموت ابي
ففي البيت منه ••
روائح رب ، وذكرى نبي

هنا ركنه ••• تلك اشياؤه
تفتق عن الف غصن صبي
جريدته •• تبغه •• متكاه
كأن ابي ، بعد ، لم يذهب
وصحن الرماد •• وفنجانه
على حاله ، بعد لم يشرب
ونظارتاه •• أيسلو الزجاج
عيونا ، اشق من المغرب
بقاياه ، في الحجرات الفساح
بقايا النسور على الملعب •
اجول الزوايا عليه ، فحبت
امر •• امر علي معشب
اشد يديه •• اميل عليه
اصلي على صدره المتعب
ابي •• لم يزل بيننا ، والحديث
حديث القداح على المشرب
يسامرنا ، فالدوالي الحبالى
توالد من ثغره الطيب
ابي ، خبرا كان من جنة
ومعنى من الارحب الارحب
وعينا ابي •• ملجأ للنجوم
فهل يذكر الشرق عيني ابي ؟
بذاكرة الصيف من والدي
كروم ـــ وذاكرة الكوكب
ابي •• يا ابي •• ان تاريخ طيب
وراءك يمشي ، فلا تعتب ••
على اسمك نمضي •• فمن طيب
شهي المجاني الى اطيب
حملتك في صحو عيني حتى

---

(١) من ديوان قصائد نزار

تهيأ للناس اني ابي
اشيلك حتى بنبرة صوتي
فكيف ذهبت .. ولا زلت بي ؟
اذا فلة الدار أعطت لدينا
ففي البيت الف فم مذهب
فتحنا لتموز ابوابنا
ففي الصيف ، لابد ، يأتي ابي

لن اتحدث عن القصيدة .. انها برأي أجمه قال شاعرنا الغالي نزار قباني .. عشت واياها اياما واياما وقرأتها مرارا ومرارا ولن يجرؤ حرفي الصغير التحدث عنها .. لقد احبها وعانقها وساير انفعالاتها وتغلغلت صورها بين حناياه ...

لست شيوعيا .. ولكن

ان الحب الذي ينمو معا ويساير نضجنا وتفكيرنا اروع حب وافضله وخاصة اذا كان من نحب انسان كبير نعتز به ونفخر .. وهذا حبي لتوفيق الحكيم ..

احببته طفلة ورافق الحب نمو حياتي وساير جموحها وتمردها وكسلها وهدوءها .. واعود بعد كل رحلة فكرية وكل خلوة مع كتاب الى توفيق الحكيم فأجده ذلك الانسان الذي يعطي بسخاء وينظر بقلب واع الى بلاده ، الى الانسان ويشعر بحاجاته ويعطيه مسبقا كل ما يريد .. وتمر السنوات ويفهم الجيل افكاره ويحاول تطبيقها والاخذ بها ...

الجميع يعرف توفيق الحكيم يعرفه كأفضل كاتب مسرحي في بلاد العرب قاطبة .. بل لا اجد من اقارنه به من جهتي في هذا المجال .. كلنا تثقفنا من مسرحه وعرفنا اشخاصه وسخرنا مع ابطاله ، وعشنا أفكاره . اعمق الافكار يقدمها لنا سهلة بسيطة ، حلوة ، معقولة باطار ضاحك .. يفهم مضمونه الطفل والكبيروالعامي والمثقف ..

وهو الى جانب هذا مفكر ممتاز ..

اني أعيد قراءة تأملات في السياسة .. الكتاب الذي عرفت احرفه النور قبل ان يولد معظم جيلنا ، واذ بانساني العظيم ينادي باصلاح مدهش . يعرف داء الشعب ويصف الدواء .. الدواء الناجع الشافي الذي نحاول حاليا الاخذ به من قريب او بعيد اكثر الدول تحررا وثورة .. واحببت ان تشركني ياقارئي الغالي هذه الافكار واتمنى ان تحب من احببت لانه يستحق الحب والتقدير .

(١) عندما التحقت بالسلك القضائي في أول الشباب، دعيت الى مقابلة النائب العام ، فجعلنا نتبادل الحديث في شتى الشؤون الى ان عرجنا على موضوع دراساتي في جامعة باريس .. فاندفعت أقول له بغير تحفظ :

ـ كنا ندرس هناك تعاليم كارل ماركس .. وكنت من المهتمين بدراسة الشيوعية !.

فصاح النائب العام فزعا :

ـ شيوعية !.. وكيل نيابة شيوعي !.. يا للمصيبة !..

فهدأت من روعه . ووضحت له انها كانت دراسة نظرية في الكتب ، لان برنامج الدكتوراه في الاقتصاد السياسي كان يتطلب منا بحث النظريات الاقتصادية على اختلاف مراميها ، وما الجامعة الا ميدان حر تتصارع فيه الآراء ، ولقد بنى « ماركس » مذهبه على أساس علمي ، معارضنا مذهب « آدم سميث » فكان لا بد لأساتذة الاقتصاد من عرض المذهبين .

ـ وأنت ما رأيك وما موقفك من هذه الآراء؟!..

ـ اطمئن ياسيدي النائب ! اني باعتباري وكيلا للنيابة لن يكون لي غير واجب واحد : أن لا أحنث باليمين التي حلفتها للدولة .. وأن أقوم بواجبي وأطبق

(١) من كتاب تأملات في السياسة لتوفيق الحكيم

القانون بالامانة والصدق .

* * *

ومرت السنون .. وانتقلت بعد ذلك من وظائف الدولة الى ميدان القلم .. وانتقلت تلك الآراء من قاعات الجامعات الى ميادين الصراع بين الامم .. وانقلب الجدل العلمي بين « ماركس » و « سميث » الى نزاع سياسي بين كتلة شرقية وكتلة غربية ..

وبعد أن كان ميدان العلم منقسما الى معسكرين لعالم « بكسر اللام » أصبح ميدان الدنيا مقسما الى معسكرين لعالمين « بفتح اللام » ..

اني الآن حر .. غير مقيد بيميني .. فلو أتيح لأحد أن يعيد علي طرح السؤال القديم :

« وأنت ما رأيك وما هو موقفك من هذه الآراء » ؟ !.

ترى بماذا أجيب اليوم ! !..

* * *

أجيب بشيء واحد : ان عهد الايمان والنظريات قد ولى من حياتي وأنا لم أذكر الآن تفاصيل تلك الآراء التي كنا نتحمس لتنفيذها أو اعتناقها ، ولكن التقدير الشخصي للاشياء قد حل في نفسي محل التأمين الشامل على كل ماكان يهز مشاعرنا من افكار ..

لا أستطيع اليوم أن أنضم الى « ماركس » أو الى « سميث » فكلاهما صادق وكلاهما كاذب ولا استطيع أن أنضوي تحت لواء « الشيوعية أو الرأسماليه » فكلاهما مصيب وكلاهما مخطىء ..

كل ما استطيعه هو أن استخلص من تاريخ البشرية ومن تجارب هذين المذهبين واصطدامهما بطباع الناس وظروف الحياة ، حقائق ثابتة ، أو قل عقائد شخصية ، ليس من السهل على أحد أن يزحزحها من نفسي ..

اولى هذه الحقائق او العقائد أن الثورة الروسية

[illegible] ..

ثورتان دمويتان ارتكب فيهما كثير من الجرائم باسم الحرية .

حرية الشعب ضد طغيان النبلاء في الاولى .. وحرية العمل ضد طغيان رأس المال الثانية .. وقد استخدم في سبيل هذه الاغراض من وسائل العنف مانفر النفوس واقشعرت له الابدان .. وتطرف رقاص ساعة الزمان من نهاية الى نهاية .. باحثا عن وضعه الصحيح الذي فيه يستقر استقرار الحقيقة المعقولة المقبولة ..

وهدأ رقاص الساعة في الثورة الفرنسية بعد ان قطع كثيرا من الاعناق وأسال كثيرا من الدماء ، وانكشف للاعين بعد ذهاب العاصفة هذه الحقيقة..

ليس المقصود محو طائفة او الغاء طبقة .. بل المقصود ازالة فوارق والغاء امتيازات فليبق النبلاء اذا شاؤوا ، ولكن ليس لهم اليوم ان يقولوا لغيرهم من أبناء الوطن : دمنا أزرق ودمكم أحمر ، ولا نقف أمام محكمة ولا نخضع معكم لقانون ولا نجلس الى جانبكم تحت قبة مجلس ..

كانت الحقيقة الثابتة التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية هي :

حقوق الانسان .. ذلك الانسان الواحد الذي لا تمييز فيه بين دم ودم .. حقوق المواطن ، ذلك الفرد الذي يتمتع بعين الحقوق المدنية والسياسية ويخضع لما تفرضه من واجبات دون تفريق بين مولد أو منبت أو مرتبة .. وسرى هذا المبدىء في الارض وجعل اساسا لأكثر الامم .. ولم يعد من الضروري لتطبيقه اقامة نظام خاص من الحكم .. فالملكية والجمهورية تصلحان على السواء اطارا للمحافظة على حقوق الانسان والمواطن !..

ثم جاءت الثورة الروسية فقالت : نعم .. لقد زال

امتياز النبلاء •• ولكن ظهرت طبقة أخرى ذات امتياز وطغيان •• هي طبقة أهل المال •• يجب الغاء هذه الطبقة •• فلا يوجد في الدولة غير أهل العمل •• ويجب ان يكد العامل للمجموع •• فلا قيمة لحقوق الانسان، بل القيمة الاولى لحقوق الجماعة •• ولا اعتبار لحقوق المواطن •• بل الاعتبار الاول لحقوق الوطن وقامت الثورة كالرياح الهوج فعصفت بالنظم السياسية والاجتماعية والدينية •• وسالت الدماء أنهارا •• وتطرف رقاص ساعة الزمان من نهاية الى نهاية ، باحثا عن وضعه الصحيح الذي فيه يستقر استقرار الحقيقة المعقولة المقبولة •• ولم يهدأ بعد رقاص الساعة الروسية •• فان هذه الثورة لم يمض عليها أكثر من نيف وربع قرن !••

ولكن من المستطاع بعد ذلك ان تتملص منها الحقائق التي يمكن ان تتبلور وتثبت وتمكث في الارض •

ان هذه الحقائق الثابتة في رأيي : حق الجماعة وحق الوطن ، تكمل الشطر الذي بدأته الثورة الفرنسية : حق الانسان ، وحق المواطن ، أما نظام الحكم فسوف تثبت الايام ان لم تكن قد أثبتت بالفعل — بما يحدث في انجلترا اليوم — انه ليس من الضروري ان يتخذ الذي ارتآه الروس ، ولا أي شكل خاص من الاشكال •• فالملكية والجمهورية أيضا سواء في صلاحيتها اطارا للمحافظة على حقوق الجماعة والوطن ••

* * *

وبعد ••• فلأترك هذا الحديث العام ، ولأعرض ما أراه صالحا لبلادي •• ولا تعنيني الاسماء ولا الصفات ولا التعاريف •• ولا أفكر وأنا أتكلم برأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية ••

انما أنا أبسط ما أتمناه لأهل بلدي من اصلاح دون تقيد بمبدأ أو بمذهب •• فليس أخطر على أمة من أن تلبسها مذهب أمة أخرى دون نظر الى طبيعتها وحاجتها وحجمها وذوقها وروحها •

أريد أن تتحقق في بلادي ثلاثة أشياء :

الاول — أن يكون كل ولد يولد ، وكل مواطن يوجد ، ملكا لنفسه وملكا للوطن في آن •• كما ان الخلية في الجسم ملك نفسها وملك الجسم •• فالوطن مسئول عن الصحة الجثمانية الذهنية لكل مولود وموجود •• فالتطبيب بالمجان والتعليم بالمجان •• ان لم يتحقق هذا فلا قيمة لوجود الوطن •• كما لا قيمة لوجود الجسم اذ تخلى عن مصائر الخلايا •• كذلك ما يملكه الفرد في أرض الوطن هو ملك للفرد وملك للوطن في آن •• لان قطعة الارض قطعة من لحم الوطن •• فلا يجوز للفرد أن يسيء استغلالها •• أو أن يعجز باهماله أو جهله من استخراج كنوزها وتعطيل نفعها •• فعلى الوطن أن يقسم أرضه أو لحمه الى مناطق تعاونية ، يجري فيها البذر والزرع والحرث والسماد والحصاد والدراس بآلات حديثة وخبرة علمية •• لتنتج أكثر ما يمكن من محصول •• هو ثروة للوطن وثروة للفرد في آن ••

الثاني — أن تمتد يد الضرائب التصاعدية بقوة الى رقاص ساعة العيش ، فلا يتطرف من نهاية الثراء الى نهاية الفقر •• ليهدأ في الوضع المعقول المقبول الذي يقارب ويجانس بين أبناء الوطن •• وان يكون لحكومة الوطن رقابة دقيقة على شركات المرافق العامة كالمياه والنور والمواصلات •• الخ •• حتى لا يكون لها غير ربح زهيد لا يبهظ أفقر الناس •• فاذا تولت الحكومة ادارتها مبالغة في الحرص على مصالح الكافة كان ذلك أفضل وأتم • يضاف الى ذلك واجب آخر على حكومة الوطن : توفير السكن الصالح وتدبير العمل للعاطل

وفرض الحد الادنى للاجر الذي يصون للاجير كرامته الآدمية . ويكفل له كمواطن كيانه الداعم لكيان الوطن .

الثالث ـ العلاقة بين رأس المال والعمل .. وهو جوهر الخلاف بين المذهبين المتصادمين .. أحدهما يقول أن رأس المال يستغل العمل ويربح . كل كده ويجزع جميع عرقه .. والثاني يقول أن رأس المال هو الذي يجازف .. فله وحدة ثمرة جسارته .. والحقيقة التي أراها في طريق التبلور : هي أن لاتطالب كالمذهب الاول بالقضاء على الرأسمالية .. ولا أن تتركها كالمذهب الثاني تمرح وحدها في ثمرة الاستغلال .. ولكن تجعل في رأي للعمل شعارا . يواجه به رأس المال : « استغلني واشركني في الربح ! » .

* * *

هذا تخطيط بسيط فيما أراه في هذا الامر .. لست أحفل بما يمكن أن يسمى بين المذاهب .. حسبي انه اتجاه أراه نافعا .. ميسور التنفيذ .. آمل أن يرى ضوء الشمس في بلادنا ذات يوم .

١١ أكتوبر ١٩٤٧

من أنت :

وقبلت أن اودعك يا قارئي العزيز .. دعني أهمس باذنك بقصيدة صغيرة اعتز بها واحبها .. قصيدة فيها عمق انساني وصورة مريرة وصادقة .. فيها جمال الصبا وزهوه وفيها كآبة العمر والسنوات ...

من انت ؟ كيف طلعت
في دنياي ؟ ما أبصرت فيا
في مقلتيك أرى الحياة
تفيض ينبوعا سخيا
وأرى الوجود تلفتا
سمحا وايماء شهيا
ألمت أحلام الصبا
وخلعت اكرمها عليا
مهلا فداك الوهم لا
ترمي بمئزرك الثريا
انا في جديب العمر اثر
ما تبقى في يديا
عودي الى دنياك ـ
واجني زهرها غضا زكيا
يكفيك مني ان تكوني
في فمي لحنا شقيا

عمر ابو ريشة

أتمنى لقصيدتي الناضجة أن تلقاك ايها القارىء الغالي وانت تحضن احلى احلامك واعز امانيك .

المديرية العامة لادارة حصر التبغ والتنباك
دمشق تقدم
للشعب العربي السوري بعيد الجلاء
اصدق ايات التبريك

الحب

تأليف بول جيرالدي

تعريب : الثقافة

خلاصة ما سبق

يواصل (شالانج) تحببه الى (هيلين) زوجة صديقه (هنري) ، ويجهد ليفتح أمام ناظريهـا وقلبها المفاهيم الدفينة عن الحب الحقيقي ، حب الانثى اليانعة لرجل التجارب ، حب الفتاة اليافعة التي دفع بها الأهل والتقاليد بين أحضان أول عابر ردد في أذنيهـا همسات الحب المعسولة ، الى رجل عرف مواطن الضعف والتذمر في نفس هذه المرأة ، فعمد الى ايقاظ ميولها وغرائزها النبيلة وفتح نوافذ قلبها أمام واقع الحب الجميل ، والأخذ بيدها الى شاطىء حياة جديرة بالحياة .

ويظل الزوج (هنري) يرقب عن بعد تفتح قلب زوجته (هيلين) لهـذا الحب الطارىء فيظل في مكانه يشهد الحوادث ويستمع لهواجس قلبها فيضعف فيها التردد والحيرة ويريدهـا أن تتخذ الموقف الحازم فترد عن نفسها طغيان هذا الحب الذي أراد (شالانج) أن يجعله جارفا وملازما لها .

هيلين : هذا كل ما قلته .

هنري : أرأيت كيف لم تستمعي لحديثي ؟

هيلين : انك تردد دوما نفس الاشياء .

هنري : لقد قلت لك هذه المرة شيئا جديـدا ، صحيحا يكاد يقلقك ، واقول لك : هذا ماوجب سماعه (بدت ضجرة بحذر) ماذا بك ؟

هلين : لاشيء .

هنري : ايزعجك ما قلته لك ؟

هيلين : كلا مطلقا .

هنري : لقد طلبت الي أدلة .

هيلين : اجلس .

هنري : (بعد فترة صمت ، يتكلم بهدوء وجهد) بماذا تفكرين ؟

هلين : اسكت قليلا (تتحدث وكأنها الى نفسها) : جميلة هذه النافذة التي اضيأت الآن في الدار ، ان الخدم يصرون دوما على اضاءة النور في الدارقبل اغلاق النوافذ مما يسنح للبهو ام بالدخول . فالنهار لا يزال مضيئا وهذه النافذة المضيئة لوحدها تضفى على الحديقة طابع المساء .

هنري : أتعلمين ان الوقت متأخرا جدا .

هيلين : نعم ، وقبل هذا النور ماشعرنا بذلك .

(يقترب منها ، تبدو غير مكترثة ، حالمة وانصرفت الى الباب المطل على الامسية ، ينظر اليها) .

الفصل الثاني

فوق رجبة في الحديقة ــ الشهر ، ايلول

المشهد الاول

هيلين ــ هنري

(تجلس هيلين لوحدها فوق مقعد مريح في الحديقة ، وضعت كتابا فوق ركبتها ، لا تقرأ فيه ، ترتعد فجأة لشعورها بمن يمر خلفها ، تلتفت بسرعة نحو ظل الاشجار فلا ترى احدا .)

هيلين : ماذا ؟ أكنت هناك ؟ وماذا كنت تعمل ؟

هنري : لا تقلقي . كنت مارا .

هيلين : أطال وقوفك هنا ؟

هنري : كلا ، وصلت الآن فأهدئي .

هيلين : أنا لا احب ان ينظر الي من خلف ، عندما لا اشعر بذلك .

هنري : أتخافين من ان تفاجأ افكارك ؟

هيلين : أين تذهب ؟

هنري : كنت نازلا .

هيلين : ولم مررت من هنا ؟ ألك ماتقوله الي .

هنري : أنا ؟ لا ، ليس لي ما اقوله . (فترة) وأنت كذلك كما أرى ؟ اليس كذلك ؟ أليس لك ما تقوليه الي ؟

هيلين : لو كان لي ما اقوله لفعلت الآن (يحدقان في بعضهما ، تسدل عيناها وقد تململت ، ثم تقول بلطف) من اين يصدر صوت الاصطدام هذا الذي يسمع من هناك ؟

(يسمع منذ فترة ضجة صماء بعيدة ، انه صوت الحطابين يبدو الصوت جليا من وقت لآخر خلال هذا المشهد والمشهد المقبل واخيرا في نهاية هذا الفصل وكأنه قرع طبول الحزن) .

هنري : هنالك الحطابون يقطعون الصفصاف ، سأذهب لاراها تقع ، جميل ومثير صوت تكسر الاشجار وضجيج الاوراق ، انها تجعلنا نحسب ان الاغصان تجر معها السماء ، ألا يشوقك ذلك ؟

هيلين : كلا .

هنري : لعلك تنتظرين قادما ؟

هيلين : نعم ، لقد قال شالانج انه سيحضر .

هنري : انه يأتي كل يوم ، في هذه المدة .

هيلين : لقد مضت ايام ثلاثة دون ان يحضر ، وما الغضاضة من حضوره كل يوم وما السوء في ذلك؟ انه الوحيد بين اصدقائنا الذي يعجبني وهذا لا يدهشك . فقد سبق ان اعتبرته رجلا رفيعا ، وليست خطيئتي الآن اذا وجدت انت فيه كثيرا من الخصال .

هنري : نعم ، يجب ان اسلم جدلا .

هيلين : انني لا أفهم .

هنري : بلى ، انك تفهمين (يحدقان في بعضهما) ان شالانج يلاحقك ويريدك ولنفترض أنه يحبك اذا فضلت هذا القول ، كما يقال ! (تنصرف بوجهها عنه ، يستطرد) اعتقد بأنني صبرت طويلا ، لقد استقبلته كصديق وكنت مطمئنا لحذرك ، لحبك لي ، مطمئنا للزوجة التي هي انت ، ولكن الآن ، نفذ صبري وحان الوقت لتبديل الاسلوب .

هيلين : انني افضل موقفك الاول !

هنري : وأنا ايضا .

هيلين : اغلق اذن دونه الباب !

هنري : ليس ذلك سهلا ، نحن اثنان وليس الامر في ان نطرده من داري ، بل من دارنا . انني لا أوافق أيضا ألا نكون أنت وأنا شخصا واحدا ، أي ان نصبح متفقين ، انني بحاجة لتأييدك .

هيلين : ياالهي ، ما هذه الوساوس !

هنري : ليس الامر في الوساوس ، فلو قمت

لوحدي بهذا العمل لقلل ذلك من شأننا نحن الاثنين •

هيلين : اذن ؟

هنري : اسألك اذن ، ألا تعتقدين ان مدةالتجربة قد طالت ، وان حان الوقت لتشيري اليه بأنه غدا كثيرا بيتنا •

هيلين : وتعتقد بأن علي ان اقول له ذلك •

هنري : اوه ، أنا ام انت • ليس المهم هذا ، واعيد عليك بأن المهم هو ان نعمل معا وان يشعر بذلك •

هيلين : انني ارفض الاشتراك في عمل فظ دون مبرر ، فليس لي ما اشكو من تصرفه •

هنري : يا للسماء ! انت تشعرين بانك معبودة وهذا لا يهينك انت بل العكس ، واما اذا كان في تصرف هذا السيد اهانة لزوجك فهذا لا تشعرين به ولا يمسك وسيان لديك ذلك ، اتحسبين انك ستقاومين طويلا كونك امرأة •

هيلين : ماذا يضيرك من تصرفه ، فانت واثق مني على ما اعتقد ، ويكفيك ان اكون كما أنا ، وكما يجب ان اكون •

هنري : انك لست ما يجب ان تكوني ، وكان من الممكن ان ينتهي كل شيء منذ زمن طويل عندما حددت لك الزمن ، فما كان منك الا ان زدت ازدراء ولا مبالاة •

ان هذا الرجل الذي لاتجهلين نواياه ، تغدقين‌عليه المديح وتبتسمين له •

هيلين : ماذا قلت ؟

هنري : وتتنزهان معا !

هيلين : لقد كان ذلك مرة واحدة ، اذ كنت ذاهبة الى (بوتييه) فعرض علي مرافقته وكان ذلك بحضورك •

هنري : بحضوري ، نعم ، ولكن بأي اسلوب وتحدي • يجب أن ننصفه فهو ليس مداهنا ، لا وليس بخادع ، فكأنه يريد ان يصرخ في وجهي كاشفا عن نواياه ، أكانت له الشجاعة الكافية لولا اغضائك عنه؟

هيلين : لقد شجعته •

هنري : كلا ، انك لم تفعلي ، والدليل هوشعوري الآن بحرج مزعج عند وصوله ، فكأنني بينكما عزول او حاسد • أنا لا احب ان العب هذا الدور الذي لا يطاق • كان بودي منذ زمن طويل ان اصفع وجه هذا الرجل لو رأيت في استمرار زياراته ازعاجا لك ، الا انها ما ازعجتك ولقد كان خجلي من جرأته اقل وقعا من سرورك لاحتمالها ، لقد كنت ملجما فان النزاع ماكان قط بينه وبيني ، بل بيننا يا هلين ، اجل بينك وبيني •

هيلين : اهكذا تقول ، وماذا تعتقد اذن ؟

هنري : اعتقد انك فقدت توازنك ولم تعودي تبصرين الواقع •

هيلين : انت مخطيء ، فأنا واعية • ان شالانج يكن لي شعورا عميقا مليئا بالاحترام ، له رواؤه واني جاهدة لجعل هذا الشعور يهدأ ويتحول حتى يصبح نقيا •

هنري : وكم تتطلب دورة الشفاء هذه من الزمن؟

هيلين : لا ادري ، ومن ثم دعني ، فمن العار هذه الشكوك والريب ، واني امنعك من التحدث الي بهذه اللهجة •

هنري : هذا أسهل من الاجابة • ولكن ياصغيرتي لو لم يكن هنالك ماتلامين عليه ولو كنت حقيقة كما يجب ان تكوني لما احتملت ان يكون هذا الرجل الغريب سببا لنزاع بغيض بيننا ولكنت صرخت في وجهي : (كفاني ، لا اطيق ابدا رؤيته ، سأطرده من هذه الدار) •

هيلين : أنا لم اكن السبب في هذا النزاع ،وعلى رسلك اذا كنت مجنونا فانني لا اوجه مثل هذه‌الاهانة لرجل احترمه واعجب به فأنت الذي علمتني الاعجاب بـه •

هنري اعترفي اذن ايتها التعسة بأنه توصل الى اقلاقك وملء مشاعرك فانت الآن تتخبطين وتتألمين .

هيلين : لو كان ذلك صحيحا فانه يعنيني لوحدي فأي نوع من النساء تراني ؟

هنري : اني امنعك من معاودة رؤية هذا الرجل

هيلين : هانحن الآن ، وهذا ماتريد أن تصل اليه.

هنري : على كل حال ، كان لزاما علي ان ابدأ من هنا ، فالمرأة كائن ضعيف يجب الحفاظ عليه كأنه اداة عزيزة . وأنت لست الا امرأة مثل جميع النساء. ومن الجنون ان اعتبر بأن لك قلبا وعقلا كافيين لاحتقار لذة تجعل منك هدفا للاستثمار ومدعاة لمسرة تشغرك فريسة له . وكان حري بي ان اعمل ما يعمله كل زوج ، ان ابعد هذا الرجل عنك منذ اليوم الاول بصرف النظر عن السبل . فأنا الآن استقبل شالانج فادخلي الدار واسرعي .

هيلين : (ذليلة ، تدمع)

لن اطيعك ، ولن اتلق أوامرا منك .

هنري : (هائجا ، اخذ بمعصميها) هيلين !

هيلين : (ثائبة ، وقد صكت اسنانها) هنري !

(يظلان وجها لوجه ، يحدقان بعضهما بوحشية)

هنري : (يهدأ اخيرا ، يتركها ويلتفت الى النافذة) هذا ما وصلنا اليه .

هيلين : انني مخطئة ، فأنت القيم هنا ، ساطيع ولن ار شالانج مطلقا ، أمسرور انت ؟ وهل بلغت ما أردت؟

(تحاول الخروج)

هنري : (يستوقفها) كلا ، ابق هنا ، فأنا المخطيء لا اريد لك هذه الهزيمة ، فأنا لا استطيع ان اتحمل بقاء أي شك او ظلام بيننا ، لا ، لا يجب ان يكون كل شيء جليا ، تستطيعين رؤية شالانج واستقباله فأنا لا امنعك. وبعد زمن آمل ألا يطول انتظر ان تخبريني عن الذي تفضيلنه بيننا . فاذا كان هو فلك شأنك فأنت شابة وستعاودين حياتك (بصوت خفيض) وهذا في الواقع طبيعي فقد طرأ على فكري بأنك سوف تقارنين يوما زوجك بالآخرين . فأنا اتقبل المعركة والخطر . اجتمعي به .

ان لشالانج سلاحه : الغموض والتجدد فأنت لا تعرفينه وهذا من محسناته . ولي ايضا محسناتي فأنت تعرفينني (وقد ابتلت عيناه ، وامسى فريسة للهيجان) انني أثق بنفسي ، وأثق بك ايضا يا هيلين : فأنا اتركك لنفسك ، فالى هذا المساء ، سأعود متأخرا فاني بحاجة لاستنشاق الهواء فلا تنتظرينني ، واعتذر اليك لتركك تتناولين طعام العشاء لوحدك .

المشهد الثاني

هيلين ـ شالانج

شالانج : واخيرا (يندفع نحوها بحدة) لم فرضت علي هذه الايام الثلاثة البغيضة ، فمنذ تلك الايام وأنا اركض بسيارتي في الطرق ، ذهبت حتى البحر بسرعة جنونية ، لعل دوار السرعة يذهب الزمن ويبدد الدقائق . اعلميني ، لم فرضت علي هذا الغياب وانت تعلمين انها تمضني .

هيلين : اسكت ، لا اريد ان اعلم ذلك ، وليس لك الحق لتكلمني على هذا النحو ، وقد جئت رغم كل ما قلته لك ، وانت اكثر جنونا وهياجا عما قبل . انك لست وفيا ، ألا تذكر اتفاقنا ؟ انك تحترمه لقد قلت لي وتقول لي كل يوم اشياء لا اريد معرفتها ولا اريد قط سماعها، فأنت لاتعي اقوالك ومنذ حللت هذه الدار بات الجو ثقيلا ، أجل ، اجل لنضع حدا لما بيننا ، لا اريد رؤيتك مطلقا .

شالانج : كلما أعود اليك بعد ساعات الانتظار الطويلة اجد وجها فاترا ونفسا مغلقة .

هيلين : لن تر هذا التبدل فانك لن تعود لهذه الدار ولن تراني فقد اخطأت . انك لا تستطيع أن تكون صديقا ، ذلك الصديق الذي آملت ان تكونه ،

فاذهب اذن ولنفترق فهذا أصلح .

شالانج : لست انت التي تتحدثين الي بل هو زوجك الذي يلح ويفرض عليك ...

هيلين : انت مخطيء ، ما فرض زوجي علي شيئا قط ، ولكنني انا ، أتسمعني ، أنا وحدي التي ارجوك ان تذهب وألا تعود ابدا الى هذه الدار .

شالانج : هذا مستحيل ، انني ارفض . فأنا نادرا ما اراك الآن .

هيلين : ولكنني الح في ذلك .

شالانج : أتستطعين ان تتحدثي الي على هذه الصورة بعد سمرنا الطويل ونزهتنا الى (بوتييه) التي قمنا بها معا ذلك النهار ، وبعد كل ماذكرته لك ؟

هيلين : وبماذا أجبت ؟

شالانج : لا أدري . هذا لايهم وانما اعلم بأنك استمعت الي واصغيت لحديثي .

هيلين : اوه ، لقد كنت ضعيفة جدا معك وتركتك تنطلق بعيدا في احاديثك فلديك القوة لاستغلال هذا الضعف . كنت عندما تغادرني وافكر فيك امقت نفسي ، ولطالما رددت طالبة اليك التخلص من هذا الجنون .

شالانج : ما كنت تعنين ما تقولين .

هيلين : ماذا قلت ؟

شالانج : ان حديثي يزعجك .

هيلين : لا صحة لما تقول .

شالانج : بل صحيح ، ان صوتك يحتج بينما نظرتك تدعمني اتذكرين ذلك اليوم عندما داهمنا المطر في نفس هذا المكان ، وأخذت بك الى بهو الاستقبال ، وحدثتك قرب اذنك فجرى في لحمك نور أضفى عليك جمالا خاطفا فاقتدتك صامتا الى المرآة لتشاهدي وجهك ؟

هيلين : خطأ ، لقد أجبتك وقلت لك ما يدور بفكري حول جرأتك ، وأضفت بأنني أمنعك من رؤيتي اذا عدت .

شالانج : لقد اسأت التعبير .

هيلين : انظر الي اذن الآن ! انني اعيد عليك ، لا اريد ان اراك مطلقا وارغب اليك ان تنصرف فانني سأغلق دونك بابي ، فهل تصدقني اخيرا ؟

شالانج : لكن ، ألا تفهمين كيف احبك ؟

هيلين : هذه الكلمة ايضا ! فأنت مسرور عندما تقذفها في وجهي ، هذا شائن ، هذا جبن فاتركني .

شالانج : (بخشونة) انني لم أعد شابا يا هيلين ، فلي من العمر ثمانية وثلاثون عاما ، وقد ذكرت تلك الكلمة امامك للمرة الاولى عن عمري ، نعم للمرة الاولى ، شرفا ، انني لم أقصد اهانتك . نعم ، قبل ان اعرفك كنت احسب ان النساء مع الاسف دوننا ، ولا يستطعن سوى اثقال رسالة الرجل المناضل ، ولقد وصفتهن بالدمى . وعندما رأيتك بدا لي فورا انني ولدت لحياة اخرى ، فلم اعد احسب الحياة الا بك ، وادركت معنى الطموح والعمل والقوة والثروة والمجد . أنت مثلي الاعلى ، وان رجلا مثلي لا يعرف التراجع .

هيلين : ماذا تأمل اذن ؟

شالانج : اريدك زوجة لي .

هيلين : انت معتوه !

شالانج : أنا رجل يحبك .

هيلين : كفى الآن ، اذا لم تذهب فورا فانني انادي .

شالانج : ناد ، ناد ، سيان لدي اذا اقدمت على جر الفضيحة وانني انذرك بانك لن تستطيعي حرماني من رؤيتك فأنت لا تدركين ما يمكن انيكون حب رجل في عمري ، ما كان يؤمن بالحب ، فلا سبيل الآن للعقبات عندي ، وان العالم ، وعائلتك وعائلتي كلها سواء ، وكذلك زوجك فلنا نفس الروابط .

البقية في العدد القادم

كتب وقراء

وكان مساء

وكان مساء .. مساء رهيب لف بظلمته الحالكة حياة السيدة مهاة فرح الخوري .. خنق بسواده الكالح الحالك كل ضياء نهاداتها ، وأطفأ برياحه الهوج العاتية الشعلة الخالدة التي كانت تضيء دروبها ، ووطيء بقدميه الداميتين قلبها ، وحطم بيده الجانية القاسية عمود بيتها ، فاحاله حطاما ..

أجل كان مساء ، ناء بثقله على السيدة مها ، فاختطف منها كنز حياتها .. وتركها صريعة المأساة ، وجها لوجه ، مع قلبها الجريح ... واحلامها المحطمة ... واطفالها المفجوعين .. وحيدة تحمل صليبها ، يائسة تحضن بؤس جراحاتها .. محطمة تشدبأجنحتها الواهية على فراخ ، ماكانت اجنحتهم الزغب لتقوى على مجابهة ذلك المساء وحمل آلامه ..

المساء الذي كان .. كان مساء المأساة ، مأساة الموت الذي اختطف من احضان السيدة حبها الكبير أمل حياتها الاخضر ، الصدر الذي كانت تلمس في احضانه الدفء والحنان ، وتهرع اليه هاربة من هموم الحياة ... لتنسى في دفقة المشاعر التي يغمرها بها كل ما كانت تواجهه في دنياها من عناء .

مأساة الموت الذي اختطف زوجها ، تلك هي قصة الكتاب .

قصة الحلم الرهيب الذي ايقظها في صباح احد الايام ذاهلة شاردة اللب عاجزة عن تفسير تلك الصور الدامية التي مرت بها في ليلها ذاك .. الطائر النائح .. الانين العميق .. اليد القاسية تشد شعرها بعنف الشعور الداخلي بأن سعادتها مهددة .. — انه شعور المرأة الصادق — يجعلها تحسس الخطر دون أن تعرف مكمنه ولا وجهته ، فاذ بها بغريزة المرأة وعفويتهاتغلق نوافذ بيتها ، خوفا من ان يتخطاها صغارها ..

لكن الامر كان أمر وأدهى لقد كان شبح الموت يحوم حول البيت بل كان يترصد في قلبه .. كان أقوى من الابواب المغلقة والنوافذ الموصدة .. كان اقوى من حذر المرأة وقلقها واستعدادها للمقاومه .. لقد تحدى كل شيء واختطف الرجل تاركا في صمت المنزل المفجوع اثار الدم ورهبة المأساة ..

« لقد هبت العاصفة الهوجاء على بيتنا ،

فاقتلعت اقوى غرسة فيه
وحطمت انضج نبتة في مزرعتنا
وحولت مجرى ساقيتنا الوحيدة
الى العالم المجهول ..
هبت العاصفة فاطفأت مصباحنا المشع
وخيمت على بيتنا سحابة سوداء »

عند ذلك تذكرت السيدة مهاة الصوت الحزين والانين المخيف ، واليد القاسية .. عند ذلك فقط

ادركت سر ذلك الحلم الرهيب ..

اذن لقد مات زوجها .. وبحثت عن التعزية ، تلك ارادة الرب ، انها التعزية البلهاء الابدية ، انها التعبير الافصح عن العجز الكلي أمام القدرة التي تسير هذا الكون .. انها الهرب الفلسفي (الميتا فيزيقي) من قسوة الواقع المفجع ..

لكن المرأة المفجوعة تأبى ان تقبل هذا التعليل المفجع الساخر المستسلم ...

فتطلق صرختها المدوية الثائرة ..

لماذا كانت هذه الارادة ؟

وما ذنب هؤلاء الصغار الابرياء ..

الرب أعطى والرب أخذ ..

ولكن لماذا اعطى ولماذا أخذ ؟ !

الا ان الصرخة تتلاشى ، والثورة تنتهي ، وارادة التحدي تصطدم بالتحدي الاكبر .. فتعود من جديد لتسير مع القافلة الطويلة من ابناء الانسانية ، قانعة بالعزاء الرتيب ..

« انني أقف حائرة ذاهلة
أمام كلمة الله ومشيئته
ولا اجد لهما تعليلا
ومن الحكمة ان لا أحاول التفتيش عن تعليل لهما » .

الا ان التساؤل الساخر يعود من جديد :

« أهكذا تنتهي رحلة الانسان الى الحياة الدنيا؟» .

ولكنها اذ لا تجد الجواب .. لم يبق أمامها الا ان تعود الى نفسها ، الى دموعها ..

« سأبكيك ايها الرفيق ما دامت في عيني دموع
اذ لم يعد لي حيلة سوى البكاء
سأحدثك ايها الرفيق ،
اذ يتعذر علي ان تصورك غائبا
انك حاضر وغائب دائما
انك كل شيء ولا شيء
انك موجود وغير موجود
انك حي كل الحياة ولكنك ايضا ...

وتموت الكلمات .. لعلها باتت عاجزة عن التعبير، بل لا شك ان الصمت ابلغ .. واقوى ..

وتتلفت السيدة مهاة لتجد نفسها وحدة على دروب الحياة لكنها لا تجبن ولا تنهار بل تخنق دموعها تردد وبلهجة الرسالي المؤمن .. سأجتاز طريقي في الحياة ... ساجتازها وحدي .

لن أدع من فرض عليهم اجتياز النفق ان يرافقوني، سأبرد لهم اسنة حجارته الحادة .. سأنحتها حتى تصبح لينة ناعمة ..

سأنزع ما تصل اليه يداي من الاشواك .. حتى تنبت خلفها الازهار .. سأهدهد امواج البحر .. ولن أدع هذه الامواج تطغى على البائسين ، لن اترك مد البحر يغمرهم .

ولا جزره يعريهم ..
سأجعل هذه الامواج زوارق احلام
تعبر بنا الى طريق الحياة ..

لعمري انها صرخة القوة تملأ نفس السيدة المفجوعة .. وانها لذروة التضحية في سبيل اولئك حنانها من ضياء عينيها .. ستضيء لهم الظلام المرعب .. الذين فرض عليهم أن يجتازوا معها النفق .. من انهم ابناؤها .. ولقد فقدوا الأب .. فأخذت على عاتقها أن تأخذ دوره في المعركة حتى تنتهي المعركة .. وهي اذ تعلن عن استعدادها للعمل فليس فقط بفعل ما توجبه المسؤولية العائلية بمفهومها العادي .. ان وراء ذلك احساسا اكبر بمسؤوليتها تجاه الذين قذفت بهم هي بارادتها ، أو قذف بهم عن طريقها الى الحياة .. دون رأي لهم ولا ارادة ..

ألم يقل ابو العلاء
هذا جناه ابي علي وما جنيت على أحد ؟
نفس الصرخة ترددها هي :

« يا صغير الحبيب ! الآن وقد انهيت الرابعة من عمرك لايسعني الا ان اطأطيء رأسي أمامك •
لاعتذر واطلب العفو منك ياصغيري ،
فانا جزء من سبب وجودك او قد اكون جزءاكبيرا من سبب عذابك •• »
ولكنها مع هذا تشعر بان ظلمها لابنائهالم يكن ارادياً ••
ظلمتك يابني •• دون ارادة مني
الا ان هـذا الشعور لايريحها •• لايقنعها ••
« سأبذل جهدي لمحو الظلم ،
سأحشد كل قواي لمحو الظلم ،
سأحشد كل قواي للنضال في هذه الحياة
سأفرق الظلام ليغمرك واخوتك النور
سأمحو الآلام حتى تنعموا بالفرح والحبور
سأطوي الماضي الباكي لاقدم لكم المستقبل الضاحك
سأمسح الضباب عن جباهكم لتظل مشرقة دائما وابدا •• »
لكنها وهي تقف كاللبوة الجريحة متحدية معلنة تصميمها على الاستمرار •• هازئة بالقدر الذي أراد لهـا ولابنائهـا هذه الفجيعة •• تتذكر بيتها المهجور الذي تحبه كثيرا •• وتمر به كل يوم ، مسترقة النظر اليه •• متحاشية رؤيته قلبها يتلفت اليه ، لأنه كقلبها موحش ومقفر •• انه العش الذي امضت فيها جزءا غاليا من حياتها •• واكملت فيهااسرتهاولكنهامااكتملت حتى عصفت الريح •
وغاب صاحبه هناك وراء الغيوم ••
وبينما هي مستلمة لمناجاة ذلك البيت المهجـور توقظها اصداء النواقيس تملأ سماء دمشق •
« هذه الاصوات العلوية ••• فيما مضى
كانت تجلبني الى بيت الله
لاصلي مع من يصلي او افرح مع من يفرح
وكنت اشعر بالفرح اكثر من الورع
أما اصوات اليوم فما بالها ؟•
وتتذكر انه عيد ••
« عيد ؟ أي عيد هذا ؟ ؟
ان شجرة العيد قد صوحت
لان الماء الذي يرويها قد جف
أنساغها يبست •• واوراقها ذبلت
وهوت ثم تقاذفتها الرياح ، »
ويعرض في خاطرها خيال بابا نويل
« ولكن •••
كيف اخبر طفلي الصغيرين
ان « بابا نويل » قد ذهب ولن يعود
وانه لن يحمل لهما الالعـاب الجميلة والحلوى بعد الآن
حقا لم يكن بابا نويل شخصية خيالية
ولكنه أصبح خياليا •• بل وابعد من الخيال •••
وبينما تستمر في ذكرياتها •• يطالعها صوت الاهل والاصدقاء والرفاق يلومونها على دموعهاويطلبون اليها ان تنسى :
« انسى ؟ وكيف انسى ؟
هل انسى الفاجعة الدامية ؟ »
هل تنسى رفيق عمرها ؟ اعمق جرح في قلبها : لا :
« انا أنت : فكيف انساك وأنت معي
انت معي منذ ان افتح عيني للنور الى ان اغمضها ،
والله اعلم متى تغمض هذه العين ؟ ؟
لكن قبل ان تغمض العين ترى الستار ينزاح عن المسرح
لكن أي ستار وأي مسرح ؟ !
ستار صغير جدا ، ازيح عن مسرح لا مجال لحصر ممثليه ومآسيه وملاهيه •
انه مسرح الحياة •

انه مليء بالفواجع .. ملطخ بالدم بعد ان تمزق الستار الشفاف الذي لا لايتألق من خلاله الا الحسن والجمال ، الستار العازل للشرور والظلمات ، الناقل للخير والنور ولكن الستار الذي تمزق.. الشمعة التي انطفأت .

لم يزل شعاعها يخترق ظلام الدنيا
ليصل الى بيتنا ...
فيرسل بعض شعاعه ...
الى نفوسنا المتألمة ..
وقلوبنا المتعبة المظلمة ..
فنسير انا واطفالي .. على ضوئه ..
في دروب هذه الحياة ...

بقي ان نقول شيئا في العمل الذي قدمته السيدة مهاة فرح الخوري ، ولعل ابرز مميزات عملها الجدة والجرأة .

اما الجدة فكتاب السيدة مهاة هو اول عمل ادبي كامل يقفه صاحبه على موضوع واحد هو الرثاء والتفجع .

لقد عرف الادب العربي قديما وحديثا اسماء شعراء وشاعرات بكوا بعملهم احبابا لهم وخلانا ..

فمن متمم بن نويرة الى الفارعة الشيبانية الى مالك ابن الريب ، فالخنساء ففدوى طوقان الا ان عمل هؤلاء جميعا كان يدور حول الاخ او النفس يستثنى من ذلك جرير مع انه على حد قول الدكتور عبد السلام العجيلي «هم ولكنه لم يفعل ..» حتى جاءت السيدة مهاة فرح الخوري فحققت بعطائها الجديد عملا لم تسبق عليه ، وكان في تحقيقها لهذا العمل بالذات جرأة لم تسبق اليها ذلك أنها استطاعت ان تقفز فوق سور المفاهيم البالية وتتحدث فيما كنا نصر على ان نحيطه دائما بستار من الكتمان والسرية والخجل الكاذب !

اجل ان التحدث عن عاطفة الحب الزوجي كان من المحرمات في مجتمعنا حتى جاءت السيدة مهاة فرح الخوري فمزقت الستار لتشجينا وتبكينا وتوقظنا على انبل عاطفة واصدق حب ، دون ان نلطخ اظافرنا بدماء المحرمات أو تنهش انيابنا بجسد المقدسات ..

واذا كان الحزن هو الطابع المميز لاناشيد السيدة فرح الخوري ، فليس في هذا ما يفقد عملها شيئا من روعته . بل على العكس لقد كان هذا الطابع بعض ابرز الخصائص المميزة لعملها ، فقد كان حزنها صادقا بعيدا عن التكلف والاصطناع والاستعارة ، لانه كان ابن المأساة المرسل بسجية وعفوية وبساطة .. المليء بدفء الاخلاص مما اعطاه قوة سحر أخاذة ادخلته اعماق القلوب .. ولا شك ان في هذا عنصرا من العناصر المميزة، فلاول مرة في أدبنا الحديث نقرأ ونحزن ونشارك بكل ذرة من احاسيسنا وعواطفنا ومشاعرنا دون ان تتقزز نفوسنا وعيوننا واسماعنا بمئات كلمات الحزن والالم والتمزق والانهيار والكآبة والتقيؤ والانسحاق الى آخر تلك المعزوفة المملة الطويلة التي طلع علينا بها حديثا جيل الباحثين عن المأساة ـ اصطناعا ـ تقليدا لجيل من الادباء المزقين المنسحقين ـ دون معاناة حقيقية من جيل اصطناع الفاجعة عندنا ـ للفاجعة ودون احساس كياني بها ..

واخيرا يكفي السيدة مهاة فرح الخوري الخصائص التي ذكرنا ، ويكفيها أنها استطاعت فعلا ان تشركنا مأساتها وتفتح في اعماق نفوسنا ازهار حزنها ليكون عملها رائعا ..

واذا كانت السيدة مهاة تعتذر في اهدائها لانها تبسط مشاعرها على حساب القراء فاننا لا نجد افضل من ان نردد لها ومع الدكتور عبد السلام العجيلي ابيات « دوموسيه » .

« دعه يتسع هذا الجرح الذي صنعته ملائكة الاحزان في اعماق قلبك فلا شيء يجعلنا عظاما مثل ألم عظيم . ان اكثر الاناشيد أسى هي أجملها » .